الغرفــة 77

"و قصص آخرى"

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني محفوظة للناشر.

روايــة: الغرفة 77.

الكاتب: محمد سيد.

الطبعة الثانية: مارس 2018

رقم الإيداع: / 2018

الناشــر:

"دار أدباء 2000 للنشر والتوزيع"

المدير العام: **منة عامر** Mobile: +2 01099654718

E.mail: **Odabaa2000@gmail.com**

Website: **http://entashaaer.wix.com/odabaa2000**

Facebook: **https://www.facebook.com/Odabaa2000**

تصميم الغلاف: **محمد علي.**

تصحيح لغوي : **أحمد عبد المنعم.**

جميع الحقوق @ 2018 محفوظة للناشر

"دار أدباء 2000 للنشر و التوزيع"

يمنع منعاً باتاً بدون إذن خطي معتمد من الناشر:-

نسخ أو إستعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيهاالتسجيل الفوتوجرافي و التسجيل على أي أشرطة أو أقراص صلبة أو مرنة مقروءة أو النشر عبر الإنترنت أو أي برنامج إلكتروني أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها أدوات حفظ المعلومات و إسترجاعها.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **"دار أدباء 2000 للنشر و التوزيع".**

إهـــداء

من غيركم أهدي له أول كتبي ؟

إلي أمي ، يانهر الحب الذي يجري في روحي ، علمتيني حب الله ، وحب الحياه ، وحـب الناس ، كيف استطعت ان تحبي كل شيء .. ويحبك كل شيء ؟

و إلي أبي ، يا نسيم الحكمة الذي يسري في كل الحياة ، علمتني كيف اعيش لهدف نبيل ، فاعمل له بجد ، كيف استطعت ان تكون ابا مثاليا وتؤثر فينا كل هذا التاثير ؟

****

انا مدين لكم بعد الله بكل شيء

« رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » ..

محمد سيـد

الغرفـة 77

و قصص أخرى

روايـــــة

محمـد سيـد

«إميـلا»

أنا أتاسف إميلا.

لم أودُّ غير تخليد ذكراك ، كنت فقط أريد أن يعرف العالم أنَّ لديَّ أختًا عظيمة مثلك ، انا أخوكي الأصغر إميلا ، أرجوك ارحمي تلك الأرواح البريئة ، أنا اعلم إميلا أنَّك تسمعيني الآن ، أعلم أنَّك موجودة ، أتذكري إميلا عندما كنت تأخذينني على كتفيك وتريني البحيرة ؟ أتذكري ؟ إميلا ، أتوسل إليك ألَّا تؤذي تلك الأرواح ، إذ كنت تريدين أن تؤذي ، فقومي بأذيتي أنا.

تلك كانت كلماتي الأخيرة لإميلا.

من إميلا ؟

هي أختي الوحيدة ، بالتأكيد فأنت تريد أن تعرف ماذا حدث ، لقد عشت مع أمي وأختي إميلا في بيتٍ صغير في أرياف كندا ، أمي كانت قعيدة ، تتحرك بذاك الكرسي المتحرك ، فعند مجيئي للحياة علمت من إميلا أنَّ أمي وأبي أصابهم حادث مروري وأبي فقد الحياة وأمي أصبحت علي هذا الكرسي ، فكانت اميلا بنسبة لعائلتنا الصغيرة ، هي الشمس التي تنير العالم ، نعم فيها كانت هي من تتولى كل شيء حتى تربيتي ، كانت أمي قبل أن تكون أختي ، كانت امرأة كادحة ففي سن السادسة عشر خرجت من البيت لتنضمَّ لعمالة الكادحين ، تزرع وتجني المحاصيل لدى أصحاب الاراضي ، تخرج من ساعة الذروة حتى تأتي البيت مع غروب الشمس ، لقد كنتُ صغيرًا كنت أشفق عليها ، ولكن كانت لديها ابتسامة كفيلة أن تضيء العالم بِأسرِهِ ، بل لا تتوقف علي ذلك فقط كانت تأخذني على كتفيها بعد يوم متعب حتي تريني الغروب كل يوم ، صمَّمَت على استكمال تعليمي وشدَّ الحوار بينها وبين أمي ، ولكن إميلا قالت « جلبيرت سيكمل

تعليمه رغم أنف الجميع وسيصبح أعظم مخرج في تاريخ السينما » حينها أتذكر دمعتها واحتضانها لي ، ولكن تغير كل شيء في يوليو لسنة 1980 ، عند مجيء خالي راشفول .

****

أمي كانت تكره خالي راشفول ، كنت لا أعلم لِمَ أمي تكره خالي راشفول بهذه الدرجة ، لقد عاد من إنجلترا ليعيش معنا ، أمي كانت تحذرني وتقول لي : « لاتخرج من غرفتك بعد السادسة مساءً خالك راشفول أخذ الطابق السفلي ، جيلبرت لا أريدك أن تتكلم معه كثيرًا ؛ إنه من شياطين الإنس ، نحن فقراء لا نقد عليه ، إذا لم أوافق على إقامته معنا سيحجر على نصيبك من مال جدك القديم ، لا أريد مشاكل مع ذاك الشيطان أريد أن نكون مسالمين » ، لم أفهم شيئًا من تلك التخاريف، فخالي راشفول يحبني أنا وإميلا وبالتحديد يحب إميلا ومنعها من العمل مجددًا ، وقال لي : « ستكمل دراستك ياجيلبرت » اعتقدت أن أمي كاذبة ، فهي تريد أن ننغمس في خلفاتها القديمة معه ، إلي ذاك اليوم المعهود عندما ذهبت للحمام الثانية بعد منتصف الليل ، فرأيت غرفة خالي راشفول مضيئة بالنور الأحمر ، كنتُ أرى خيالات من زجاج الغرفة ورأيت خيال أحدهما يشاور نحوي ، حتى فَتَحَت الباب أختي إميلا وقالت « جيلبرت منذ متى وأنت هنا » فرددت بصوت هامس « أنا هنا منذ دقيقة كنت أريد أن أذهب للحمام ، إميلا لقد رأيت بعض الخيالات في الغرفة بالتأكيد أنهم كانوا أكثر من خيالين لم يكونوا أنتِ وخالي راشفول » حتى خرج خالي راشفول ، أتذكَّرُ ! أتذكَّرُ لمعة عينيه لم يكن فيها السواد كأعيننا ، فخالي عيناه بيضاء ، أتذكَّر غضبه وهو يقول لي بصوت أجش هزَّ كل عضو بداخلي من قوته : « اطلع إلى غرفتك الآن » هرولت إلى السلم المؤدِّي للأعلى وأغلقت غرفتي ، لم أنم تلك الليلة ! نعم لم أنم تلك الليلة من الأصوات التي كنت أسمعها ، أصوات ليس من عالمنا ، لم أسمع تلك الاصوات من قبل إلَّا في الإذاعة الفرنسية في الراديو وهيا تحكي قصة لأحد

الأساطير ، لقد فهمت الآن لِمَ أمي وصفته بالشيطان ، ولكن لِمَ !! لِمَ إميلا معه ! وفي الصباح بعد عدم نومي تلك الليلة ذهبت لغرفة أمي ورويت لها ماحدث .

****

رويت لها كل ماحدث لي تلك الليلة فقامت باحتضاني وقالت : « قلت لك ياجيلبرت لا تنزل للدور السفلي بعد السادسة ، خالك راشفول ساحر ، يعمل مستحضر روحاني » لقد قالت تلك الكلمات ، ترعرت في تلك المنزل الذي اصبح مشؤومًا ، أختي إميلا تغيرت ، تغيرت في كل شيء : صفاتها ، طيبتها ، حتى شكلها تغير ، لم تعد إميلا الجميلة ، لم تعد عينها تروقني لقد فقدت نصف وزنها .. كل يوم أسمع تلك الأصوات ، حتي مات خالي راشفول ، كنت فرحًا ، فرحًا لعودة إميلا لي ، فرحًا لأنَّ إميلا ستخرج معي كما تعودنا ، ولكن لم يحدث ذلك ، إميلا اكتئبت ، سكنت غرفة خالي ! كنت أختلس البصر لأراها ، كانت تستعمل لوحات خالي من الويجا وكل أدواته ، وفي يوم ما وأنا أختلس البصر ، سمعتها تتحدث وتقول : « على من تشاور ياخالي » ونظرت إلي ، صعقت !! نعم صعقت ، ورجعت للوراء ، فنظرت إلي وقالت : « منذ متي وانت هنا جيلبرت » عيناها بيضاويتان ، وأنا كنت أصرخ ، حتى هزت رأسها كأنها تفيق من حلم موحش وقالت « چيلبرت أتخاف مني ، أتخاف من إميلا !؟ أنا اختك ، هيا بنا ، هيا بنا نذهب للبحيرة » خرجنا من بيتنا وذهبنا للبحيرة ، لم تتحدث معي ، لم تتكلم ، كانت تراقب موجات البحيرة فقط ، لم أستطع أن أقول أي شيء ولكنها كانت طبيعية آخر ليلة أرى فيها إميلا طبيعية ، وعند مغادرتنا البحيرة وعَوْدَتنا لمنزلنا قالت : « أنا آسفة يا أمي ، آسفة لقد اخترقوني » كانت تصرخ وتقول : « انقذيني يامي ، خذيني من ذاك الوحل الذي انغمست فيه » كنتُ خائفًا من نظراتها فنظرت وابتسمت ابتسامة لم أرها على وجهها من قبل ولكن كانت عيناها تقلب للبياض وتارة أخرى ترجع ، كنتُ خائفًا حتى تَكلمَت

وهيا باكية وقالت : « أخائف مني جيلبرت ؟! أخائف مني أليس كذلك؟ ، أنا إيملا جيلبرت » بعد انتهاء الجملة لم تعد إميلا ، لقد احتل جسدها الشياطين اعطتنا ظهرها وذهبت للغرفة وتعالت الضحكات ، حتي استعنتُ بأحد الجيران ليأخذوها إلى مصحة نفسية ، وفي ذاك الوقت كنت أدرس في الثانوية ، إميلا وُضِعَت في المصحة لمدة سنة لا تتكلم مع أحد ، تأكل فقط حتى في الزيارت لا تنظر إلينا .

****

مكثت إميلا في المستشفى تلك السنة ، في تلك السنة تخرجتُ من الثانوية لألتحق بمعهد السينما ، وخرَجَت إميلا من المشفى ، ولكن لم تعد إميلا تجلس في الغرفة السفلية ولا تتكلم مع أحد لا تخرج ، قالوا أنها تعافت ولكن ما قاله الأطباء كان هراءً ، ظلَّت كما هي ، حتى ذاك اليوم كانت الأجازة الصيفية قبل التحاقي بالمعهد ، رأيتها ، رأيتها كانت غريبة ، أغرب مرة شاهدتها لحالة إميلا ، كان الرعب يدبُّ في قلبي ولكن كنتُ أسمع تلك الضحكات الصادرة من غرفتها كنتُ أرى الخيالات الكثيرة التي رأيتها في صغري ، ولكن فُتِحَ الباب ببطيء وأنا أسمع صرير الباب ، كانت إميلا جالسة على أحد الكراسي الخشبية وعند فتح الباب بالكامل نظرت إلي بعينيها البيضاويتين ، تشجعت وقلت لها :« أنا أكرهك ، أكرهك إميلا ! لا أريدك في حياتنا ! ارحلي ، ارحلي إميلا بعيدًا ، أنا لم يعد لدي أخت بعد الآن » عيناها رجعت إلى طبيعتها ، ولكن كانت الدموع تفر_من أعينها ، تلك كانت آخر مرة أرى فيها إميلا ، لم أر إميلا في الصباح ، ظننَّا أنها ذهبت ! لا أستطيع أن أصف شعوري في تلك اللحظة ، ولكن في المساء كنا نسمع صرير الباب أنا وأمي فأذهب لأتفقد الغرفة ولا أراها ، كنتُ أجزم أنها هنا ، حتى ماتت أمي ، وظللت أسمع تلك الأصوات كنت أقول « إميلا أنا أعلم أنك هنا ، اظهري إميلا » كنت أسمع بضع الهمسات فقط ، ودَّعت البيت ، ودَّعته والدموع تملؤ عيني .

حتى صرت الآن مُخرِجًا عظيمًا ، والفضل علي ما أنا عليه الآن هي إميلا ، فقررت أن أعمل فيلمًا يُخلد ذكرُها ، فيلمًا عظيمًا عن قصتها ، في بيتنا القديم وبالفعل وجدنا طفلة تشبهها ولكن غيرتُ في مجرى الأحداث بأننا وقفنا بجانب إميلا بأننا ساعدنا تلك الفتاة المحبة لرجوعها لعافيتها ، ولكن عند دخولنا البيت القديم أنا وفريق العمل ، أُغلِق الباب ولا يُفتح ، الأضواء تُطفَؤ وتُنير باب غرفة إميلا مفتوح علي مصرعيه ، في كل مرة يُطفَؤ النور فيها يختفي شخص من فريق العمل ، أتأسف إميلا ، لم أود غير تخليد ذكراك ، كنت فقط أريد أن يعرف العالم أن لدي أختًا عظيمة مثلك ، انا أخاك الأصغر إميلا ، أرجوكي ارحمي تلك الأرواح البريئة ، انا أعلم إميلا أنكِ تسمعينني الآن ، أعلم أنكِ موجودة ، إذا كنتِ تريدين أن تؤذي ، فاذيني أنا ، النور الآن أُطفيء ولا يوجد غيري من فريق العمل ! ، ولكن باب البيت فُتِح ، إميلا لا تريد أذيتي ولكن تطلب مني الرحيل.

«يري»

الآن حقًا أنا خائف.

لا إنَّها ليست البداية الأمثل لقصتي أنا مرعوب ، في السنة الماضية كنتُ خاطبًا لمونيكا توأم بيري ، لقد أحببت مونيكا ، نعم أحببتها ولكن ماتت في حادثة سير ، وأتذكر مراسم دفنها وجنازتها ، أتذكر كم كنتُ وحيدًا بدونها ، انعزلتُ عن كل الناس بسبب موتها ، ولكن بعد ثمانية أشهر فقط ، تقربت مني بيري ، كانت دائمًا ما تسأل عني ، دائمًا ما تقف بجانبي لأمر من تلك المرحلة ، ومع الوقت اكتشفت أن بيري تحبني ، لا أعلم لمَّا قابلتها نفس الشعور هل لاهتمامها الزائد؟ ، أم للشبه الرهيب بينهما ، وإني عاشقٌ لمونيكا ، في كل مرة أشاهد فيها بيري أتذكر مونيكا ، لطالما ناديت بيري بمونيكا ، كانت تغضب ! ، كانت تعلم أني احب مونيكا ومازلتُ ، وأعيش على كل ذكري لها ، ولكن بيري الصبورة تحملت كل تلك المتاعب ، تحمَّلت كل تلك القسوي وجرح المشاعر التي تعرضَت لها بسببي ، بل ظلَّت متمسكة بي ، حتي أجزمت بِحبها هي ، مونيكا لم تحبني بهذا الحد ، ولكن تغيَّر كل شيء منذ شهرٍ واحد ، منذ حددنا موعدَ خطبتنا ، فعند تحديد ذاك الموعد ، ذهبتُ لبيتي لآخذ حمامًا ومن عادتي أن آخذ الهاتف معي في الحمام لأسمع بعض الموسيقي ، إنها عادة سيئة أعلم ولكن هذا ما تعودت عليه ، وفي ظل استماعي لتلك الموسيقى ، سمعت رنين رسالة في هاتفي تجاهلتها ، وعند خروجي من حمامي ، فتحت تلك الرسالة ، صعقت ! كانت مونيكا ، نعم هاتف مونيكا فتح وبعدها بدقيقة كانت توجد رسالة لي من رقمها نصها يقول « وحشتني » ! صعقت لمَّا رأيت .

****

اخذت تلك الرسالة « سكرين شوت » وارسلتها الي بيري وقولت في رسالة عبر الواتس ابب « بيري هل لديكي هاتف مونيكا القديم » ولكن كان ردها صاعق ! فقالت ماهذا الهراء .. واتصلت بي ، وعندما قولت لها ماحدث ، ردت وقالت بنبرة خائفة .. « لقد استلمت رسالة الان من نفس رقم مونيكا وتقول فيها « لما يابيري تريدي خطف خطيبي مني » !! لم اصدق تلك الفيلم القذر ، وقولت « بيري انزلي من بيتك حالا وساستقل سيارتي واذهب لكي الان لنتفقد شيئا ما ..» ركبت سيارتي وأنا مشتت الذهن وعند وصولي لبيت بيري لم أسلم على والديها وأخذتُ بيري من يديها و ركبنا سيارتي ، كنتُ ذاهبًا لمكاننا واحد فقط ، المقابر ، لا أعلم لِمَ ولكن كان لدي حس إرشادي يطلب مني الذهاب إلى هناك ، وبدون وعي ظللتُ أحفر ، و أحفر و بيري تضع يديها على فمها ، لم أجد أي شيء في القبر ، لم أجد أي شيء ، أنا من دفنت مونيكا بيدي ! ماهذا الهراء!؟ ، نظرتُ لبيري كانت فاقدة الوعي تمامًا لمَّا رأت .! ، حملتها للسيارة وأنا منغمس في تفكيري ، حقًا كنتُ مرعوبًا ، حتي رنَّ هاتفي ، استلمت رسالة علي الواتس اب : « كنت أراك وأنت تحفر و أضحك ، أنا حقًا كنتُ مستمتعة برؤيتك ! أنت حقًا وحشتني » ، رميت الهاتف ، أقنعت نفسي أني في كابوس ! ولكن هل الكابوس هذا تراه بيري أيضًا ؟ ، كنت أحاول إفاقة بيري حتي نجحت ، ودخلت بيتها ..!

****

عشتُ اسبوعًا موحشًا في رسائل مخيفة ، انقطعتُ عن إرسال أي شيء لبيري ، وانقطعَتْ رسائلها بعد ذاك الأسبوع ، ولكن عادت الرسائل إمس قبل خطبتي بيوم واحد ، أغلقتُ هاتفي ، أغلقت حاسوبي ونمتُ لا أريد أن أعيشَ في تلك الخيالات ، وعند استفاقتي فتحتُ الواتس أب لأرى أسوأ شيئا رأيته في حياتي ! كانت مجموعة من الرسائل محتواها!

«بيري 1:40» : عارفة إن أنت مش فاتح بس في حاجة غريبة في الشقة !!

« بيري 1:55 » انا بصيت من الشباك لقيتها !! مونيكا في الحديقة چورچ ، أرجوك افتح أنا خايفة !

« بيري 1:56» بتبصلي بغضب چورج !! أرجووك افتح

« بيري 2:00» كان ريكورد من بيري بتصرخ في ببشاعه وبتقولي چورج النجدة فتحت باب الشقة ..

وبعدها ريكورد آخر وهي تصرخ ببشاعة وتقول : أنا ماسكة الباب بالعافية چورج ، لم أستطع أن أتمالك نفسي ، شعرتُ بالخوف والرعب والقلق ولكن أرسلتُ رسالة تقول : « بيري أنتِ هنا ؟» شاهدَتِ الرسالة ولم تجب ، كدتُ أن أُجن ـ! وركبت سيارتي ، للمقابر ثانية لأتاكد أني لست أحلم ، تلك المرة رأيت جثة ، جثة ليست متحللة ! لا أستطيع تفريق جثة من؟ ! بيري أم مونيكا ؟ وفي عز صدمتي رن هاتفي كان هاتف بيري تقول « چورچ وحشتني ، أخبار تجهيزات الخطوبة أيه النهاردة ، لم أجب ! نعم لم أجب ، إحساسي يقول أن هذا صوت مونيكا ، نعم صوت مونيكا ، أنا حقًا مرعوب ..!

«الغرفة الحمراء»

اعلنت الأرصاد الجوية أن اليوم سيكون ممطرًا.

وبالفعل تساقطت الأمطار على فناء مدرستي - مدرسة سعد زغلول الثانوية بنين - أنا أكره تلك المدرسة ، أكره المدرسين و الطلاب - باستثناء أستاذ أمجد - أظن أن السبب الوحيد الذي يجعلني أحبه هو هوسه بلعبة الشطرنج ، أظن أن يومًا ما ستجمعني به الدورة المفتوحة للمدرسين والطلاب في الصالة الخلفية علي رقعة واحدة ، بلا شك سأُهزم ولكن شرف المحاولة مع ذاك الرجل يصبح انتصارًا.

أستاذ أمجد شخصٌ غامضٌ لا يتحدث كثيرًا ، هو يدرس مادة التربية الرياضية ، هي ليست مادة سنطلق عليها كما تعودنا حصة الألعاب.

اليوم هو اول العام الدراسي الجديد ، الجميع متحمس للغاية الأمطار تتساقط علي قميصي الأبيض ، نضارتي مبتلة.

وهنا يظهر صديقي علي ويختطف نضارتي مزحًا قائلًا :

- معكش مناديل ولا أيه ياعم عصام ..

-- هاهاها لا معايا أقسملك إنك واحشني جدًا

- آه آه كان واضح علي سؤالك عليا كل الفترة دي خد بس نضارتك وبص قدامك عشان أستاذ طارق بيمر ومش ناقصة في أول يوم تهزيق .

علي السيوفي صديقي الوحيد في تلك المدرسة.

لا أعلم هل هو صديقي حقًا أم اعتدتُ عليه طيل الثلاث سنوات ، هو شخص تافه ، اهتمامه الوحيد هو ألعاب الفيديو وألعاب الهاتف المحمول ، والده سري للغاية ، نعم فهو السيوفي صاحب أكبر سلسلة مطاعم في مدينتي ، ومساهم في شركات عديدة ،

فلماذا يهتم علي بعقبات الحياة التي أخطط لها ! ، لماذا يهتم من أجل بناء مستقبل مضمون بالفعل ، حقًا أنا إذا كنت في ذلك الوضع سأصبح أكثر تفاهة منه ، بدأ اليوم كالمعتاد وبدأ العام الدارسي الجديد بمله ، وفي تمام الساعة الواحدة ظهرًا دخل أستاذ أمجد فصلنا وقال :

- شباب اللي عايز يشترك في دورة الشطرانج يكتبلي اسمه في الورقة دي هتبقي مع عصام .

أعطاني الورقة ورحل.

كنت أعلم أني الوحيد في ذلك الفصل من سيكتب اسمه ، مسكت قلمي كتب عصام الدميري وكنتُ علي وشك أن أطبق تلك الورقة حتى مسك يدي علي وقال :

- انا هشترك اكتب اسمي

-- من امتي ياعلي وانت ليك في الشطرانج ؟

- من دلوقتي ياعصام ، انا طول فترة الاجازة وانا بجهز للدورة دي عشان اخدها

-- هاهاها تاخد ايه ياعلي انت ملكش في الشطرنج !

- عصام في حاجات مينفعش تعرفها ومش هقولك عليها بس انا هاخد الدورة دي ، وانت كل ال عليك تكتب اسمي ..

نظرت له بدهشة وانا ارفع حاجبي الايمن وقلت « زي ماتحب »

علي لم يشارك قط في تلك الدورة ، دائمًا ما كان يدعونني بالمعتوه لأني مدمنها ، دائمًا كان يكره سماع اسم تلك اللعبة ، ما الذي اختلف ؟ لا أعلم هل علي يريد أن يشارك ليثبت

لي أنه تغير حقًا ! أم ورائه سر لا أعلمه ، ولكن إذا كان يوجد سرًا سأعلمه ، بالتأكيد سأعلمه يومًا ما .

****

في اليوم التالي بلغ عدد المشتركين من الطلاب سبعة ومن المدرسين ثلاثة ، تقسمت المجموعة لخمسة ضد خمسة ، وجلبني الحظ مع خصمي السهل لأتأهل إلى دور نصف النهائي ، بالتأكيد أعلم أني سأتغلب على عليٍ بكل سهولة دون إرهاق لفكري ، ابتسمت و علي صديقي كان لا يبالي وقال « لا غيروا القرعة ممكن تجبولي خصم شديد شوية » قالها مازحًا وهو يعلم مدي قدرتي علي التغلب عليه بسهولة ، وتحدد معاد الدورة في الصالة الخليفة أمام مكتب مدير المدرسة بعد إسبوع .

وبعد إسبوع بدأت تلك الدورة ، لم يكن عدد الحضور كثيفًا ، عدد الحضور كان مقتصرًا على المشتركين ومدير المدرسة نصطف جميعا أمام تلك الطاولة الحمراء وعليها رقعة الشطرنج لا أحد يهتم للمبارة مع علي غير أستاذ أمجد لأنه مدمن تلك اللعبة ، بدأ الاستعداد ، أخذنا أماكننا كنت على اليمين و علي ٍعلى اليسار بدأ الجيم ، لم أدرك أن علي تمكَّن من قتل ملك مملكتي في ثلاث خطوات فقط وهو يستعرض عضلاته الفكرية بقوله « كِش ملك » وعلي وجهه ابتسامة الشفقة و التهكم برفع حاجبه الأيمن ! ثلاث خطوات لا أكثر ، لقد اندهشت وهو يتعالى في الضحكات ، كنت في صدمة عارمة ! ، كيف ؟ هل هذا علي أم شخص آخر وتعالت الضحكات من الحاضرين وفي آذاني جملة واحدة « متستهونش بخصمك تاني ياعصام قوم قوم » .. كنتُ مندهشًا من تلك المقولة خصمي كان علي ، لم يشارك في تلك اللعبة مطلقًا ، لم يهتم بها ! وإذا كان حظ مبتدئين أو عدم تركيز ليس بتلك الطريقة ! كنتُ منفعلًا وتركت الصالة وذهبتُ فصلي حتى جاء علي في مقعده بجواري وهو يقول ضاحكًا « هبقي اعلمهالك » تجاهلته ،

تجاهلتُ كل ما يقوله ، تجاهلتُ تلك النظرات الخبيثة التي يفعلها ومحاولة استفزازي ولكن قلتُ متوترًا ومتهتهًا « أنا بس مكن .. مكنتش مركز ركز في الحصة » .. قلتُها وأنا لا أصدق أن أمجد خلال ثلاثة أشهر فقط تمكَّن من حفظ اللعبة ، ولكن لم أبالِ وخرجنا سويًا بعد انتهاء اليوم الدارسي!.

و على باب مدرستي ودعني أمجد .. كان في انتظاره سائق العائلة يدعي عم رجب .. شخص طيب جدًا يسكن في الحي المجاور لي.

****

وعند مسكي للهاتف رأيت لعبة تدعى « الغرفة الحمراء » وعند فتحها علمت مايجري في تلك اللعبة ، الغرفة الحمراء عبارة عن لعبة حقيقة تدور بين اثنين مشتركين يجلسون في غرفة مضيئة بالكشافات الحمراء ، المشتركين واحد يجلس باليسار والآخر باليمن وفي المنتصف كرسي لرجل بقناع ، وعلى الطاولة أمامهم رقعة شطرنج ومسدس ! أما محملين تلك اللعبة فهم بمثابة الجمهور الذي يُعرَضُ له بثًا مباشرًا فأنت تختار لاعبًا منهم وتوضع رهان قدره علي الأقل 200 دولار ! الخاسر يخسر حياته من المشتركين بتلك الطلقة من المسدس ، أما الخاسر من الجمهور فيخسر نقوده ، تكلفة تحميل تلك اللعبة ثلثمائة دولار ! تكلفة المشاهدة على المبارة دون رهان هو عشرة دولارات ، فهمت كل ذلك لأن علي كان يملك ال VPn وال VPn هو نظام شهري فأنت تدفع خمسة آلاف دولار لترى كل مباريات الشهر إذا كنت تريد الرهان أم لا ، وبالتأكيد استنتجت أن علي خسر نقودًا هائلة في تلك المراهنات ، دون إخبار والده مما أدى إلى صدمة والده وانتحاره لأن أمواله ضاعت هباءً .

كنتُ أشاهد مبارة شيقة انتهت بأعجوبة للمشترك الأزرق الذي يجلس علي اليسار ، فرفع مسدسه وقتل المشترك الأحمر !! ، لقد رأيت الدم وهو يغرق شاشة العرض وضحكات الرجل ذو القناع ، بالتأكيد أنه صاحب تلك اللعبة أو الحكم لا أعلم ، غلبني النعاس و استيقظت علي صوت عامل المنزل وهو يقول « أنت مين ياجدع أنت؟ » ! ولكن أتى صوتٌ من الدور العلوي : « روح شوف عصام بيه يشرب إيه ياحيوان انت » ونزل علي على خطوات ثابتة حتي وصل إلي ، وقال : « أنت أكيد فهمت أمر اللعبة دي ، هو ده اللي حصل ، هو ده سبب انتحار والدي »

****

قلت لعلي « وهتستمر في اللعبة دي؟ » فابتسم وقال « أنا مش همسحها ، مش همسحها غير لما استرد كل فلوسي تحب تلعبها؟ » ! ابتسم وقلتُ : « هجيب 300 دولار منين؟ » فحمل لي تلك اللعبة من رابط بثلثمائة دولار وقال « لو حابب تراهن أو حتى تتفرج دي بتاعتك أنت ! » خرجت من بيت علي و أنا أفكر ، هل ألعب تلك اللعبة ! هل سأصنع ثروة ، أم سأخسر النقود التي امتلكها ، ترددت على بيت علي كثيرًا نشاهد سويًا تلك اللعبة بالأيام والشهور ، حتى قال علي يومًا أنه سيمسح تلك اللعبة ليتفرغ لشركته الوحيدة الباقية فإذا خسرها سيخسر كل شيء ! وتوالت الأيام ونسيتُ أمر تلك اللعبة ، حتى جاء اليوم المعهود ، مرض أمي ، لقد أصيبت بمرض خبيث ! ، كانت مصاريف علاجها باهظة الثمن ، والأطباء نصحونا بعمل عملية خلال ثلاثة أشهر فقط ! لم أستطع فعل أي شيء ، كنتُ أراها تتوجع أمام عيني ولا أملك النقود الكافية لفعل تلك العملية ، حتى تذكرتُ أمر تلك اللعبة ، نعم تذكرتُ أمرها ! وكأنها المنقذُ الوحيد ، نظرتُ في حسابي البنكي ولم يكن فيه الكثير ، قررتُ لعب تلك اللعبة الآن ! ولكن لا أعلم لسوء أم لحسن حظي رأيتُ خبرًا في تلك اللعبة عن فتح باب التقديم لعشرة مشتركين ،

ولم يتقدم سوى ثمانية فقط في تسجيل أسمائهم ! ، أسرعت بتسجيل اسمي في تلك اللعبة واتفقوا معي على المكان والزمان .

جائت سيارة كانت تتفقد من أنا وهل يرافقني أحد أم لا حتى نزل منها شخص وقام بتغطية وجهي بقماشة سوداء وركبت سيارة حتى إذا فتحت عيني لأراني داخل تلك الغرفة ! الآن أنا من ألعب وهم يروونني من خلال الشاشات وبدأت رحلتي ، كنت أرتدي الزي الازرق دائمًا ، رأيته لأول مرة تلك الرجل ذو القناع ، صوته أجشَّ ، وبدأ الجيم ، كنتُ أرى المسدس وأبلع ريقي ، لا مجال للخسارة هنا ، ألعب بحذر لا داعي للهجوم فهي ليست مبارة ترفيهية ، حياتي غالية ، وانتصرت ، ذو القناع أعطاني المسدس وضع فيه طلقة واحدة ولف الدائرة وقال لي : اضرب ، كنت أرتعش ! وضربت ! وحمدت الله أنها لم تكن الرصاصة ، فصاحب الزي الاحمر أخذ العفو من ذي القناع و استلمت مبلغ خمسين ألف جنيه مصري ، كنتُ سأغادر ولكن ذو القناع قال « أنت هتبقي هنا لمدة اسبوع هتلاعب كل الناس دي ولسه في دفعة جاية ، بعد اسبوع تقدر تمشي » .. لقد نزل كلامه كسهم علي قلبي ، لقد نجوت بأعجوبة في تلك المبارة ، بل عندما أفوز وأصوب الطلقة المسدس ناحية الخاسر و أدعي أن لا تكون هيا طلقة مماته هذا أصعب بكثير ، ولكن إذا كانت في كل مرة خلال الاسبوع سأفوز سأحصل على ثروة !

****

كان الوقت يمر بطيئًا طوال هذا الاسبوع ، ازدادت شهرتي ، ازداد من يراهنون على فوزي لم أقتل أحدًا ، لقد حالفني الحظ و ابتسم لي من الجبهتين بانتصار وعدم قتل ، حتى أزعج هذا ذا القناع ، فالمشاهدات تقل بكثير ، علمت أن المتفرجين مرضى ، يروقهم الدماء فقط ! حينها قال ذو القناع : « اخر مبارة عصام هيقوم بيها هو والمشترك الآخر

بلف دائرة المسدس ، قوانين اللعبة ستتغير بعد ذلك سيكون الخاسر مقتولًا » لعبتُ تلك المبارة ، كنتُ قد اكتسبت الثقة ولكن دائما الثقة خادعة ، خسرت ، والمشترك صاحب الزي الأحمر صوَّب باتجاهي المسدس ! لبضع لحظات كنتُ سأبكي ، كنت أدعو الله أن يخرجني سالمًا من تلك اللعبة ، كنت أدعو الله أن يغفر لي ، حتى إذا صُوِبت الطلقة وكانت ليست هي القاتلة ، كانت فارغة ، تنهدتُ خسرتُ كل أموالي في تلك المبارة ، فالخاسر تضيع منه النقود ، طلبتُ المغادرة من ذي القناع ، ولكن نظر في الهاتف وقال لي : « تلعب مبارة بألفي جنيه ؟ » لم أفكر كثيرًا فلا أريد أن أخرج من تلك الغرفة مكتوف الأيدي فارغًا ! أمي بانتظاري .. فوافقتُ ! وقال لي انتظر ساعة واحدة ، انتظرتُ لأرى كابوسًا يدخل الغرفة الحمراء لقد كان علي ! لم ؟ قولت في عقلي لم؟ ! انت تعلم أن الخاسر سيموت لم؟ .. وصرختُ: « ايه ال جابك هنا ياعلي ، انت عارف ان القوانين اتغيرت ؟ عارف ان المشاهدين طالبين دم ! فرد قائلًا « انا ممسحتش اللعبة ، طول الفتره اللي فاتت بلعبها ! ، اتفاجئت انك هنا ! ، كنت براهن عليك لمدة اسبوع ، كنت بتكسب برفع المراهنات وواثق فيك ، لحد اخر رهان رهنت بسيولة الشركة ، هه وانت خسرت ! وانا كان قدامي حلين يا انتحر ! يا العب واخد فلوس ، نلعب ؟ » صعقت من تلك الجملة لم أستطع الرد ، كان عقلي لا يريد التفكير ، الخاسر سيموت ! تذكرت أيام مدرستنا ، جلست علي الكرسي وأمامي رقعة الشطرنج ، تفكيري محاط بذكريات قاعة المدرسة جلستُ علي اليسار مثل قاعة المدرسة وعلي على اليمن ، ابتسم ابتسامة التهكم ! » .

كانت أسئلة في عقلي أستقتلني ؟ أم أنا سأقتلك ؟ كنت لا أستطيع ان ألعب لا أفكر ، أفكر في بعد انتهاء الجيم ! ، ألعب بدون تركيز ، حتي استفقت من عدم وعي وتذكرتُ أنها مبارة علي حياتي ، تذكرتُ دوافعي ، تذكرتُ أمي ! الآن أنا ألعب مع عدو ليس

صديقًا ، ألعب في سبيل النجاة بحياتي ، انتصرت !! ولكن لم أستطع قتله وأنا أمسك بمسدسي ، سرعان ما رميته علي الطاولة ! ، حتي أخذ علي المسدس وقتل نفسه !! تعالت أصوات غضبي وصراخي ! تعالى بكائي ، وأنا أنظر لشخص واحد ، ذو القناع فإن قتلته ستُمحي تلك اللعبة ! ، فطلبت منه ان ألعب معه مبارة علي قتل أحدنا .. فتعالت ضحكاته وقال « أعزائي أعضاء لعبة الغرفة الحمراء ، الآن أنا سألعب مع بطل الاسبوع مبارة علي موت أحد منا ، أتشاهدون » توالت الكومنتات المؤيدة المحبة للدماء ، حتي خلع القناع ! كان ! كان أستاذ أمجد مدرسي ، اظن الآن أن حلمي تحقق ، وأظن أيضا أنكم علمتم من سيفوز .

«شريط الفيديو»

ساعدني ، أرجوك إذا كنت تشاهد هذا الشريط فلا تمل وساعدني.

عملي الخاص هو التسلل للمنازل ليلًا ، لأجلب بعض الأشياء المهمة ، لايهمني إن كانت مِلكًا لصاحب المهمة أم يريد سرقتها ، المهم أن عملي ينتهي دون إراقة نقطة دم واحدة ، أنا لا اقتل ، انا سارق فقط ، مجرد سارق ! من يجلب لي عملي في بعض الاحيان هو مايكل ، فهو يعمل أمنًا في أحد الشركات ، ولهذا فهو يقوم بتسهيل بعض العمليات ، منذ أسبوع رنَّ هاتفي ، كان مايكل وهو يقول « في عميل هيكلمك النهاردة بس مدانيش تفاصيل » وبالفعل رن هاتفي بعد ساعة ، كان العميل الجديد ، المهمة كانت غريبة بعض الشيء فقال لي : « انت هتدخل البيت هتلاقي 3 شرايط فيديو هاتهم » لم يتكلم في تفاصيل عنوان العملية و ثمنها فقط ليس إلا ، لم ارتح شيئًا نادرًا ، نادرًا ما يأتي عميل ولا يتحدث عن تفاصيل المهمة ، ولكن الثمن كان مغريًا للغاية ، أخذتُ حمامًا ساخنًا ، ولبستُ واتجهتُ للعنوان ، كنتُ أظن آل البيت سيكون في منطقة خالية من السكان ، فمايكل عودني علي هذا في الآونة الأخيرة ، ولكن تفاجأت عندما رأيتُ البيت وسط بيوت كثيرة ، وهذا ما جعلني أؤجل عملي للمساء ، وتحركت في الواحدة بعد منتصف اليل ، واتجهت للبيت ، كان بيتا مذهلًا مكونًا من طابقين ، الطابق العلوي له شراعة واحدة ، صاحب هذا المنزل بالتأكيد من الأعيان ، وضعتُ الكارت الذي جلبه لي مايكل ففتح الباب .

من عادتي لا أخشي الظلام ولكن ! لأول مرة كنت أريد أن أنجز عملي بأسرع وقت لا أعلم لم؟! كان أمامي خياران إما أن أبدأ بالطابق السفلي أو آخذ السلم واتجه للعلوية ، واهتديتُ للطلوع أولًا للعلوية ، وعند فتحي لغرفته الشخصية كانت مرتبة جدًا ، دخلتُ الغرفة وبحثتُ في الخزانة ووجدت الثلاث شرائط دون عناءٍ ! وبجانبهم خزنة صغيرة ، فيها سبعة آلاف دولار وذهب خالص لإناث ، في بداية الامر ظننتُ أن الذهب

ملك لزوجة الضحية أو ورث قديم ، ولكن لم أبالِ انا مهمتي الثلاث شرائط دون عن ذلك فهو ملكي انا

****

فبالتأكيد انا لست سارقًا بمنتهي الأمانة والشرف !! ، وأنا اتجول في الخزانة وجدته ملابس ، لصوصا كثيرة لاتهتم بالملابس ولكن الملابس ممكن تصنع ثروة ، فلو كانت الماركة اكسبيست ، نورتستون ، انس الامر ولكن إذا كانت ماركات ، بريوني ، هرميس ، أسرع بالتقاطها ، لأنها تساوي الكثير ، على كل حال ، كان يوجد أماكن في البيت لم أدخلها مثل القبو والدور السفلي ، عند دخولي للقبو تفاجأت ! من عادة أي صاحب منزل أن يستغل القبو في رمي الخردوات ، ولكن هذا القبو كان غريبًا بعض الشيء فتوجد به صناديق عدة محتوية علي لبس وفساتين لإناث ، فساتين تكوِّن ثروة ولكن لم آخذها لسببٍ واحد ، كانت ملطَّخة بمادة حمراء ، لم أكن أعلم ما هذه المادة ، ولكن خمنت أن مالك البيت يعمل في الديكور ، ولكن علمتُ ما هذا عند فتحي لآخر صندوق وخرج منه راحة جعلتني اتقيء ! كانت توجد بواقي أطراف ! ، انا في شقة قاتل ، سارق في شقة قاتل ، هاها يا لسخرية القدر! ، لم أكن أعلم ماذا أفعل ، ولكن رأيتُ بابًا موازيًا لباب القبو ، وعند فتحي له ، شاهدتُ غرفة كعيادة الاسنان ملطخة بالدماء ! ولكني ، خرجت من البيت ولم يرني أحد بالثلاثة شرائط ! .

وعند وصولي للبيت ، انتظرتُ مكالمة العميل لم يتصل ، رنيت علي هاتف مايكل لم يجب! ، وفي الليلة الموالية كررتُ تلك التجربة ولا أحد يجيب علي ، لم أكن أنتظر النقود فأنا أخذتُ أجر المهمة بل وأكثر ، ولكن فضولي قتلني لأرى تلك الشرائط التي حصلت عليها ، صنعتُ فنجانًا من القهوة وجلستُ أرى أول شريط ! كان لفتاة تُعذب في نفس

الغرفة التي رأيتها من رجل صاحب قناع جلدي ، كان يعذبها بوحشية ! ، الشريط الثاني فيه أيضًا فتاة أخرى ! علمتُ أن الشريط الآخر سيكون فيه نفسَ الحدث ! فكرتُ كثيرًا في تبليغ الشرطة ولكن ماذا أقول عند استجوابي من أين حصلت عليهم ؟ أقول أنا سارق ودخلت البيت ، ولكن الشريط الأخير كان مختلفًا ، كان لونه أحمر ، فهممت بفتحه ! وعند فتحه رأيت شيئًا شنعيًا !! كان مايكل !! مايكل صديقي مربوطًا علي الكرسي في الغرفة وفمه مخيط !! الرجل صاحب الماسك كان ينظر للكاميرا بجنون وبدأ بكتابة شيء علي الورق ثم وضعة في الكاميرا « انت دلوقتي حزين من اجل صاحبك ، بس لما تعرف إن مايكل هو اللي اتفق معايا انك تيجي لحد هنا وانا اقوم بعمليتي الجديدة الحكاية ممكن تختلف ، انا قتلته هو الأول لأني بكره الخيانة ، إلى اللقاء لحد ما أشوفك » اذا كان يعلم وجودي وانا في المنزل !! كان بامكانه مواجهتي وقتلي ؟! لم اخرج من البيت بعد مشاهدتة ال 3 فيديوهات لمدة اسبوع ، ولكن دقَّ الباب اليوم و عند فتحي وجدتُ شريطًا ، شغلته كان فيه تحركاتي كلها داخل المنزل ! كان فيهم مغادرتي وركوبي سيارتي ، كان فيها وصولي لمنزلي وهنا انفجرت الضحكات ، عرف بيتي ، أرجوك إذا رأيت هذا الشريط ، ساعدني !

انا من رأيت ذاك الشريط ، كيف حصلت عليه ! جائني اتصال من عميل بأن أسرق شريطًا في خزانة ما في أحد البيوت ..! وتقريبًا ما رآه هو ما انا رأيته ! إذًا دخلت نفس الشقة ، كيف أتصرف ، أذهب إلى الشرطة و أسلم نفسي ! أنا الآن أشعر بالرعب التام !

«الريف»

منذ خمسة أعوام ذهبنا أنا ووالدي للأرياف.

لخلاف بين أخوة أبي على الميراث ، أبي كان الأكبر ولهذا السبب فهو كان يتدبر أمور العائلة بعد موت جدي العائلة ، لم أذهب للأرياف كثيرًا ، ولكن أحفظ بعض الطرق ، جلس أبي وعمي في غرفة وهي تُدعى « المندرة » أحيانا يضحكون وأحيانا أبي يصيح في عمي ، وظلَّ الوضع هكذا قرابة الثلاث ساعات ، وأنتهي الأمر بأن والدي قام من مجلسه غاضبًا وقرر الرحيل حتى مسك بيده عمي وقال « يا جمال مش هينفع تمشي ، أنت اخويا الكبير ، وكلامك يمشي عليا قبل أي حد ، بس ده مش عدل ، أنا مش عايز الأرض الغربية يا جمال ، ومن أمتي في حد بيزرع في الأرض الغربية » والدي ابتسم وقال « لينا قعدة تاني يا سعد وهنناقش الأمور دي ، بس أنا قفلت ولازم أمشي حالًا » بعد شد وجذب عمي قال : « مفيش موصلات أنت عارف وعشان كده جبتلك عربية نص نقل توصلك الشارع الرئيسي » وركبنا مع السائق حتى وصلنا الشارع الرئيسي ، فأبي شكر السائق ونظر لعربة بكبوت وهي سيارة نصف نقل تنتشر هنا ولكن مغطاة من الصاج أو الحديد وبداخلها كنبٌ و جرس تضغط عليه عندما يحين نزولك ، رأينا السيارة ، نزل منها شخص للتو ، وقال له أبي « العربية دي رايحة المدينة ؟» ابتسم الشخص وقال « أيوة » فركبنا السيارة .

ولكن لاحظتُ أن العربة ذاهبة في الاتجاه الغربي ، فقلتُ لوالدي : والدي رن الجرس على السائق ، السائق فرمل وقال « نازل هنا ؟ » باستغراب ! قال أبي « العربية دخلت غرب ليه إحنا سألنا اللي كانوا جوا وقالنا إن العربيه متجهة ناحية الشرق وهتعدي علي مدينتنا وقال أيوه » الرجل تهكم وسخر منا وقال «إنتوا أول زباين تركب معايا يا باشمهندس هاهاها انت بتخرف ولا إيه » أنا خفتُ وأبي أخذ كلامه بجدية وقال «طيب

نزلنا هنا » السائق كمل سخرية علينا ، وهو متحرك بالعربة « انتوا نزلتوا هنا ابقوا عرفوني هترجعوا ازاي؟ .. » !! ضحك وغادر.

أنا توترت ، وأبي لم يتحدث ، اكتفي بأنفاسه الصادرة بصوت عالٍ ، كان متعصبًا جدًا ، أخذنا طريق الترعة ، سرنا على أقدامنا في هذا الظلام كثيرًا جدًا ، حتى شاهدنا من بعيد مجموعة من الرجال جالسين على الحصير ويولعون الحطب ، والدي دخل عليهم وقال « أنا عايز أوصل للطريق العمومي » كانوا ينظرون لبعض ، واحد منهم قال « يا ريس أنت قدامك الطريق ده كله امشي ، آخره هتلاقي مواصلات رايحة مدينتك والطريق ده عبارة عن 3 كيلو كده» قاطعه واحد وقال « هاهاها ده لو وصل » وينظر إليَّ ، لاحظتُ أن عينيهم تتوهج وأبي لاحظ ايضًا لكنه كان ثابتًا ولم يحاول أن يستفسر عن الكلام الذي قاله ، وذهبنا ولكن أنا كنتُ أرتعش ليس من البرد وحسب ! ، ولكن من الظلام وصوت صراصير الحقل المنتشرة في كل مكان !! .

هذا الغل في سجارته لانه كان يريد ان تكون مجرد خيالات ..

كنتُ أسمع ضحكة شريرة وأنا أسير ، ونظرتُ لوالدي وقلتُ : « أنت سامع حاجة !؟ » أبي لم يرد ، كان سرحان وينفخ في سيجارته بِغلٍ ،كنتُ أعلم إحساسه أنه سامع ولكن كان يريد إقناع نفسه أنها تهيؤات ، ولكن أنا تأكدت ، هذا الغل في سجارته لانه كان يريد ان تكون مجرد خيالات ، أنا لم أكن أرى والدي بوضوح ، الطريق ظلام حالك لم أكن أرى غير ضوء السيجارة ، و من وسط الزرع ونحن سائرون رأيتُ حيوانًا بأربع أطراف قادمًا باتجاهنا ، لم أكن أجمِّع ، أهذا كلب أم شيء آخر؟ ، ولكن أبي كان يعلم ، وولع السيجارة والحيوان يبعد ، استمر في توليع السجائر ، وقال « اهدي ده ذئب بيخاف من النار ! استمر على هذا الوضع حتى بَعِد الحيوان ولكن من وسط الزرع ظهرت امرأة عجوز ، نادت علينا ، أول مرة أرى والدي خائفًا ، ولكن الخوف لم يطل وهي تقول : «

اطمن تاني ، أنا عايشة في الكوخ ده بقالي زمن ، أنا عارفة إنك عايز توصل للشارع الرئيسي ، بس وأنت ماشي إوعى تبص وراك نهائي ، لو بصيت وراك هتفضل متعلق في المكان ده ومش هتخرج متبصش وراك في ظرف دقايق هتوصل ، وشكرناها ، الأمر ازداد سوءً ، فرغت ولاعة والدي ورماها ، اسودت الدنيا ، أصبحنا نشعر بأنَّ هناك أناس تتحرك ورائنا ، أناس تهمس ، أشياء غريبة لم أرها إلا في الأفلام ، كنتُ سأختلسُ النظرَ عندما سمعتُ صوت أحدهما يجري خلفنا ، أبي أمسك رقبتي وقال : « أنت نسيت الكلام اللي قولته » ، بالفعل كما قالت كانت مجرد أصواتً ، حتى رأينا أضواء الشارع الرئيسي أبي قال : « يلا نشوف مين اللي هيسابق التاني ، جريت ووصلت قبل أن يصل ، ولكن نظرتُ خلفي لم أره !! ، سائق كان يحمل المدينة التي نسكن فيها ركض نحوي ، أنا لم أتكلم من الصدمة ! ، تكلمت بصعوبة وقلتُ « والدي ، والدي كان معايا !» كان يتكلم كثيرًا أنَّ الطريق هذا ملعون وأنَّ من يسكنونه كانوا سحراء واحترق بهم ، وقال : «أنت إزاي خرجت ، ده أنت لو بصيت وراك أو لو وقعت منك حاجة هتتعلق هناك وهترجعلها في ألف طريق غير ده اشمعني ده !! » وكلام كثير ، أغرب لحظة في كلام الغريب هذا الذي لم يفرق أي شيء عن المرأة العجوز ، قال شيئًا ، أنا استنتجته ! الولاعة !! الولاعة التي رماها أبي هي ما أرجعته .

«الوردة»

بعد موت أبي وأمي لم أطق العيش في شقتنا.

فكل شيء يذكرني بهم ، لم أكن أتخيل أني احبهم بهذه الدرجة ، لم أكن أتخيل أنهم في يوم ما لن يكونوا موجودين في حياتي ، ولهذا السبب قررت أن أترك شقتنا و أذهب لبيتنا القديم في أحد الحارات في إمبابة ، بيت جدي الذي عشتُ في طفولتي ، ذهبت لهذا البيت ، لعلي أنسي ، أريد أن أتذكر أصدقائي القدماء الذين تربينا سويًا معًا ، بيت جدي كان شقة في عمارة ستة أدوار ، عمارة يملكها رجل يُدعى عم رجب السوهاجي ، رجل لم أطقه وأنا صغير يملك عمارتين ، إيجار الشقة بسيط ، فهو إيجار قديم ثلاثون جنيهًا في الشهر الواحد ، عند وصولي الحارة لم تختلف كثيرًا عمَّا تركتها عليه ، شعرتُ أنني لستُ وحيدًا.

كنتُ أتجول في سوق الحارة ، وكنتُ أنظر على بيت نسمة ، كان أمامنا ، كنتُ سرحان في ذكريات طفولتي معها ، البيت كما تركته ، لا اختلاف فيه ، لم أحاول أن أسال عنها ، فبالتأكيد هي الآن متزوجة ومعها أولاد أو مخطوبة ، كنتُ أتذكر أول إحساس أحسه تجاهها و أول شعور ! ، رأيتُ وردة !! وردة أمام بيتها ! ، أتذكر تلك الوردة فأنا من أعطيتها لها قبل أن أغادر منذُ عشرة أعوام ! ، كيف على حالها ولم تذبل !؟ أعطيتها الوردة بعد آخر امتحان للصف الثالث الثانوي ، أتذكر كسوفها ، أتذكر خجلها ، في اليوم الموالي في الساعة العاشرة مساء كنتُ في الشرفة أشربُ كوبًا من القهوة و أسمع المزيكا وفي يدي الوردة وأنظر إلى باب بيتها ! ولكن كنتُ أرى شيئًا لم أحدد ما هو ، فنزلتُ من شقتي وذهبتُ لبيتها ، فوجدتُ وردة مثل التي رأيتها ، بالتأكيد أحد ما يضع تلك الوردة !! بالتأكيد ، ذهبتُ لشقتي و طلعتُ الشرفة ولكن رأيت فتاة تخرج من الباب والنور يضيء ، كانت هي ، لم تكبر ، كانت جميلة لم تتغير ، فرحتُ ومن فرحتي

وطيت لا أريدها تراني بحالتي هذه ، لم أحلق لحيتي !! أريدها أن تراني كأول مرة تراني بها !! ، وقررتُ في اليوم الموالي أن أذهب لها .

لَمحتُهَا في السوق كانت تحضر بعد الطلبات !! ، كيف لم تتغير ! لم تكبر مثلي ، وجهها الرقيق الطفولي توقَّف عند سن السابعة عشر ! ، كنت أراقبها ، وأنا اراقبها ، جائت نحوي وقالت « ممكن تساعدني؟ » ، حزنتُ أنَّها لم تتذكرني و وضعتُ طلباتها على أول الباب ! ولكن قالت « ادخل ياعمر » !! تذكرني ، كانت تبتسم ، بيتها الجميل لم يتغير ! ، ولكن أول ما أعطتني ظهرها ، كل شيء تكسر ، تحوَّل لتراب ، كل شيء تحول لمشهد قديم جدًا ، كأنه فيلم أبيض وأسود ، نسمة كانت ماسكة وردتي وفرحانة ودخلت بيتها ، رأت أن كل البيت متكسر و عم رجب قتل أمها ، وهي تصرخ وتحاول تخرج ، ضربها بسكين ، وفك بلاط الشقة ، ودفنهما هن الاثنتين فيه ، كل شيء انتهي وهيا واقفة أمامي بظهرها وفي يديها وردة ، وأنا لاحظت أنني أخرج ببطيء ، وباب الشقة أصدر صوتًا عاليا وهو يقفل وأنا بالخارج !! .

وعلي هذا الحدث ، سمعت امرأة تبيع الخضار بالخارج ! ، « أنت إزاي دخلت البيت ده !! ده عم رجب اشتراه وقفله من سنين وأم نسمة راحت بلدها ، إزاي دخلت هنا » تركتها ولم أتحدث اتصلت بالشرطة ، لم أتردد ، واتهموني بالجنون حتى المعاينة ، وفي المعاينة وجدوا سلاح الجريمة ، وحللوا الجثث وهي مقتولة منذُ عشر سنوات ، وطلعت شقتي بعد قول المحقق : « هنحتاجك في النيابة » ، لم اهتم كنت فرحاً لأنَّ روح نسمة الآن فقد تشعر بالراحة ! ، وأنها كانت تريدني سببًا ، سببًا فقد لإظهار الأدلة ، لم أكن أعلم أني سأراها ثانية أم لا ، ولكن ثانية ! علي باب شقتي توجد وردة .. بالتأكيد تشكرني ، وبالتأكيد هي تنظر إلي الآن .

«الغرفـة 77»

منذ الصغر لا أقتنع بكلمة الرعب.

ماهو الرعب ؟ تلك الكلمة المملة التي خلقناها في أذهاننا منذُ الصغر ، فأهلنا أبدعوا في ترسيخ تلك الفكرة في الأذهان .. إذ لم تنم سيأتون لك ، سيسحبونك من يديك ويأخذونك ، إذ لم تأكل سيأتي لك الغول ، كلها أفكار كانت منذ الصغر ! وأقصد بمنذ الصغر أن في الوقت الحالي إذا تردَّدَت عليك تلك الأفكار بالتأكيد ستضحك لآنها خرافة وإن لم تضحك ، فأنا درستُ مجال الطب النفسي من أجلك أنت ، لأنك مريض نفسي تحتاج العلاج ، أعلم أن كل شخص لديه مرض نفسي فالمرض درجات ولكن عندما يتصاعد المرض للانتحار والاكتئاب ، فأنا هنا من أجلك أنت ، انا حازم الدميري 27 سنة و منذ سنة ونصف استلمت شهادة تخرجي من جامعة عين شمس كانت تلك هي مفاهيمي وكنتُ فخورًا جدًا بشهادتي ، لطالما أحببتُ دراسة هذه النفس ، تلك الروح ، ومن صغري لدي شغف في الطب النفسي وعلماء النفس أيضًا ونظرياتهم لتعريف النفس البشرية كالفريد ادلر وجوردون وغيرهم الكثير ، فالنفس هي المسؤولة الأولي علي تحديد سلوكياتك مع العالم ، لقد أقسمتُ أنا وصديقي معتز ألَّا نيأس أمام أحد المرضى ، أن نطرد تلك الأفكار اللعينة منهم !! كان عهدًا عاهدناه وقطعناه أنفسنا ، وسأسرد لك كل التفاصيل في روايتي هذه أتذكرُ حينها الحضنَ الأخوي الذي حضنه لي وهو يقول :

- كانت أحلى سبع سنين في عمري ، أنت نعم الصاحب يا حازم ، خلصت خلاص .. ، خلص سهرنا خلصت مذاكرتنا ! هنطبق أفكارنا سوا ، ولو حتي مش سوا أنا واثق ، أنا واثق ياصاحبي إنك قدها ، و أنت فاكر دكتور علاء وهو بيقول اللي اتعلمتوا حاجة واللي هتشفوه حاجة تانية

- معتز انت ليه محسسني إننا مش هنشوف بعض تاني ؟ ولا أنت ناوي تقطع !

-- والله ياصاحبي أنا ما عارف أقولك أيه .. أنا جايلي عقد في مستشفي صاحب والدي في برلين وبيني وبينك أنا كبرت وعايز أتجوز ، تفتكر إن مرتبي في أي مستشفى حكومي هنا هيكفي ؟ بس يا صاحبي انا شهر واحد ، شهر واحد بس وهبعتلك انت اخويا ياحازم .

لم أدرك معنى الفراق إلَّا في هذا الوقت ، لقد تعثر لساني عن نطق كلمات الفراق ، لا أعلم هل هو صادق وسألقاه ، أم مشاغل الحياة ستلهينا سويًا ، ولكنها سنَّة الحياة ، لقد احتضنته ومنعتُ دموعي من التساقط ، وعلى أوتار السلام أخذَ سيارته وغادر ، غادر وتركني في تفكيري العميق في مستقبلي ، في أفكار علاجي .

أعلم ، أعلم تلك النظرة وفي عينيك تقول لِمَ أنا مهتم بهذا العلم بهذه الطريقة !؟ سأحكي لك ، منذ نعومة أظافري وُلِدتُ في بيت حنون ، أم طيبة واب عطوف لقد أعطوني حبًا يكفي هذا العالم بأسره ، ولكن عند سن العاشرة تغيَّر كل شيء ، لقد تحولت أمي إلي وجه عبوس ، تستيقظ في الليل وتقف أمام المرآة وتنظر بنظرات مخيفة ، كانت ترعبني بتلك الشعر المفرود والابتسامة الخبيثة ، كانت غريبة ، وعند استيقاظها لا تتذكر أي شيء ، أبي في البداية لم يصدق ما قلت له حتي تأكد بنفسه فجلب أحد الدجالين وقال :

- أستاذ علي انا عايز أقولك إن زوجتك ممسوسة ..

لقد صدقناه في البداية ، أبي كان ينفذ تعليماته بحذافيرها ، لقد عشنا أيامًا صعبة مع أمي ، لقد كنتُ أتنفس الصعداء عندما يختفي خيالها من باب غرفتي المغلقة كنت أُوقظ والدي ويأخذني في أحضانه وصوته العطوف « متخافش ، متخافش يا حازم انا جنبك ، نام وكل حاجة هتبقي كويسة مش بتثق فيا؟ » ولكن ذات يوم لم يقفل أبي باب

غرفتنا أنا وهو ، لقد شاهدتُ امي ، نعم شاهدتُها وأنا في ركن سريري وفي تلك الليلة بالتحديد كان القدر يريد أن يحييني بأن أنام في السرير المجاور للباب ، كانت نظرتها غريبة تنظر لوالدي بتمعن ، كنتُ خائفًا ، نعم أول مرة أشعر بهذا الخوف ، طعنته ثلاث طعنات ، أبي كان يصرخ ، وأنا أحاول الخروج دون إصدار صوت ! لا أعلم من أين تلك الشجاعة التي امتلكتها في الركض من أمي ، وقفل الباب بالمفتاح ، ومن ثقب الباب كنت أرى أمي تبتسم لي ، كنت أصرخ لتاتي الجيران للنجدة ، وعندما اجاءوا لم يفتحوا الباب بل تركوه كما هو خوفًا علي حياتهم ، كنت أعلم لِمَ ، فالجيران تعلم أن أمي ممسوسة ، كنت أبكي ، أبكي علي فقدان أبي ، أبكي علي ضياع أمي ، كان بالأحري لأبي أن ياخذها لطبيب ليس لدجال ، لقد دُمِرتُ وفي الصباح الشرطة اقتحمت المنزل وفتحوا باب الغرفة ! أمي كانت تقول « أنا مقتلتوش !! مش أنا دي هي مش أنا ، أنا مش فاكرة أي حاجة ، حازم الحقني ياحازم » كانت كلمتها تشرخ قلبي ، تقسمه ، شعرت بالكسرة والوحدة ، لم تسجن ! فالأطباء قالوا أنها تعاني من الانفصام الحاد ، لم أكن أعلم ما هو الانفصام الحاد ولكن أمي لم تعالج حتي ماتت بعد موت أبي بشهر واحد داخل إحدى المستشفيات للأمراض النفسية ، ومن هنا ! من هنا فقط ، أخذتُ ذلك العهد والقسم علي نفسي ، ان أعالج كافة الحالات مثل أمي وغيرها ، أعتذر سأدخن تلك السيجارة وأكمل .

****

سأكمل ، لقد انتهيت معك عند ذلك العهد القديم ، نعم لقد اخذتُ ذلك القسم علي نفسي ، حتي أنهي على تلك الأوهام التي تفقد العقول صوبها ، حتى لا يرى طفلًا أمه ، أبيه ، أقاربه بتلك الصورة التي شاهدتها ، بعد سفر صديقي معتز أدركتُ إنني سأطبق أفكاري وحدي ، لقد عانيتُ حتى أحصل على وظيفة في أحدى المستشفيات الخاصة ،

أول يوم كان سهلًا للغاية ، لا أعلم ماذا سافعل ، ما الغرفة التي سأتابعها ، من المريض الذي يحتاج إلي ، وعند أول اجتماع لي نظر إلي طبيب نفسي وقال : « أنت دكتور حازم الجديد؟ ..» قالها باستعلاء فلم أهتم وهزيت رأسي فقط ، فقال : « اه طيب أنت هتبقي في الدور التالت ، الدور في 8 غرف في 4 دكاتره انت هتابع مع الدكاترة وتتعلم » ، شعرتُ بالاستهوان بقدراتي ، وأني سأعاني حتي أثبت نفسي في تلك المستشفي ، كنت أتفقد ما يفعلونه الأطباء مع المرضى ، طريقة العلاج كانت خاطئة للغاية ، كانت لي بعض الملاحظات من أسلوبي ، مثلا دكتور عمرو يتعامل مع المريض في الغرفة 6 المصاب بالهلوسة السمعية بأسلوب غريب ، احيانا يضغط عليه ويلح في معرفة حالة المريض ، ويجعله يتحمل فوق طاقته ، ومرضى أخرى لا تأخد الثقة في الحديث ، لقد علمت أنني لأن آخذ فرصتي في تلك المستشفي الخاصة ، أربع أشهر أبدي ملاحظاتي برفق ولا حياة لمن تنادي ، حتى نفذ صبري ، كنت أفكر في الاستقالة ، حتي شاء رب السماء بمكالمة تليفونية غيرت مجرى حياتي بالكامل ، مكالمة تجعلني الان أتحدث لك ، مكالمة غيرت مفاهيمي في تلك الحياة ، أسقطته أرضًا ، لا أعلم إن كانت سيئة أم الوضع في المشفي كان أسواء ولكن إنه قدري ، نعم إنه قدري !

- ألو ..

- مساء الخير مين ؟

-- هه نسيت صوتي كمان مكنوش 4 شهور ينسوك عشرة 7 سنين !!

- معتز !! معتز صح

-- عامل إيه ياولا وحشتني ، مش هرغي كتير جهز باسبورك عشان هبعتلك أنا مخلفتش وعدي كلمت دكتور طارق عز الدين عنك وعن اجتهادك ..

- انت جتلي من السما ، انا كل يوم افكر في الاستقالة ومش قادر انت وحشتني جدا !!

-- هنوفر الكلام ده لحد مشوفك الاسبوع الجي ..

- بالسرعة دي ؟

-- زي مقولتلك انا مبهزرش الناس فعلا كلمتهم عنك وهنحتاجك معانا في حمل تقيل اوي ياصاحبي ..!

كنتُ سعيدًا ، كنتُ لا أستطيعُ أن أصف ما أُحِسُ به ، لقد كان بالنسبة لي أشبه بسفينة إنقاذ من الغرق في محيط موحش ، قبل أن اغادر البلاد ذهبت لبيتنا القديم و فتحت باب شقتنا لأري أمامي غرفة الجلوس ! لم أدخل شقتنا منذ عمر العاشرة .. ! لم تتغير ، أذكر ايام طفولتي فيها أذكر تلك الطرقة التي تؤدي إلى غرفة الجلوس وانا على باب شقتي ، لا أعلم لِمَ وقعت من يدي شنطة سفري وأنا امشي برفق في الطرقة ! ، نظرتُ يميني لأري صالتنا الضيقة التي تؤدي إلى غرفة نومي ! كانت مغلقة ! لم أتاملك دموعي عندما أعدتُ النظر امامي في غرفة الجلوس لأري صورة فرح ابي وامي ، وعلي يسار ويمين الكنبة الزهريتان ، أمي كانت تحب الورد ! دخلتُ غرفة الجلوس وأنا أمسح بأطراف أناملي الكراسي التي يملؤها الغبار ، حتى وصلتُ لصورة أبي وأمي وقبلتهما ، وتركت الغرفة وأخذت شنطة سفري التي جئت بها وأنا ابتسم نفس ابتسامة أبي وهو يحضن أمي في تلك الصورة ! خرجت والدموع تملؤ عيني وأقول « أنا عارف ياماما إنك كنتي تعبانة وكان غصب عنك ، وانا لسه عند وعدي » وقبل أن أسافر ذهبت لعمتي فهي من لها الفضل الاول والأخير في ما انا عليه الآن .

****

وصلت المطار ، كانت أول مرة لي أرى هذه الطائرات من قرب ، أول مرة سأركبها ، كان شعورًا رائعًا ومخيفًا بعض الشيء ، سحبة الروح تلك لم أحس بها إلا في ألعاب الملاهي ، لم انم في بداية الرحلة لقد كنت أطير مع أجنحتها ، حتى غلبني النعاس واستيقظت علي صوت المضيفة ، نزلت من سلم الطائرة ودخلت صالة الاستقبال رأيت معتز ! كان في انتظاري ! ..

- معتز ! معتز !!

شاور لي بالخروج بابتسامته المعتاده .

- واحشني جدًا ..

كان حضنًا صادقًا بيننا ، لا أعلم ماذا كنا نقول ولكن هو شعور بالأُلفةِ ، فمعتز أخ لي ، وبعدها ركبتُ سيارته الخاصة ، شوارع برلين الجميلة ، أناس مختلفون عنا ، ثقافة حقًا مختلفة ، ولكن كنت أشعر بتغير في سلوك معتز ، لقد كان فكاهيًا أكثر من هذا ، شعره ظهرت فيه علامات الشيب ! سألته برفق « انت عجزت ولا ايه ياعم انت ايه ده ؟» « هاهاها بكرة تروح المستشفي هتعرف كل حاجة ، سيبك بس انت واحشني » « انت كمان يامعتز بس من ساعة مكلمتني حططني في ألغاز ، المهمة تقيلة ، والحمل تقيل ومش عارف ايه ! » « بكرة اجتماع مهم جدا ليا معرفش تفكيرنا انا وانت صح ولا في حاجات ملناش دعوة بيها ياصديقي .. من ساعة ما جيت المستشفي دي وانا حاسس ان فعلا في شيء غريب حاسس ان في حالات مبتبقاش مرض .. سيب الكلام ده لبكرة ياحازم» ..

****

قالها وكأنه يخفي شيئًا كبيرًا لا يريدني أن أعرفه الآن ، لم أهتم ، علمت أنني - عاجلًا ام آجلًا- سأعرف ما يخفيه معتز عني ، و إلى ذاك الوقت أريد الاستمتاع بشوارع برلين الجميلة ، أعتقد أنك تريد أن تعرف ماذا فعلتُ ، طلبت من معتز أن ياخذني في جولة في هذه المدينة ، لقد كنا في قلب برلين ، ويوجد في قلب برلين عدد كبير جدًا من صالات العرض الفنية والمراسم والمتاحف المتنوعة ، والتي تُظهر - بشكل جلي - المخزون الثقافي الذي تتصف به المدينة. أكثر من مائة متحف تبقى أبوابها مفتوحة حتى الثانية من بعد منتصف الليل وبالإضافة إلى المعارض العادية هناك أيضًا الحفلات الغنائية والراقصة وحفلات القُرَّاء والمسرح وفرص لرؤية الأرشيف كما يقدم طعامًا شهيًا لزوار المتحف الليليين. برلين هي مدينة المتاحف حيث تستضيف كنوز الحضارات من جميع أنحاء العالم وأعمال لعظماء من الماضي والحاضر، تأتي هذه المدينة بالزوار وجها لوجه مع تاريخ محفوظ في مائة وخمسة وسبعين متحفًا للعلوم والفن والمعرفة والتاريخ ، أتذكر أيضًا أني رأيت تمثال نفرتيتي المسروق من حضارتنا العظيمة ، لقد رأيت أيضًا المطاعم التركية وتشتهر هنا المطاعم التركية في برلين بتحضير سندويتش الدونر كباب « الشاورما » ، لقد أخذنا جولتنا حتى وصلنا حي مارتسان-هلرسدورف يسكنه مائتا وخمسون ألف نسمة والذي يسكن فيه معتز .

وصلت الشقة التي يسكن فيها معتز ، شقة واسعة ، عند فتحك للباب ترى صالة كبيرة يوجد بها شاشة تلفزيونية علي الحائط وعدة كراسي للجلوس وعلي يمينك غرفة ، أما إذا نظرت لليسار ترى مطبخًا مفتوحًا يتقدمه حاملة رخامية قوية وفي آخر الرواق غرفتان ، كنت متعبًا وقال حازم : « هتنام انت في الغرفة دي » ، لوح بيده يميننا ، دخلت الغرفة بها سريرا ومكتب صغير عليه ابجورة ليلية يمين السرير توجد شرفة تطل

علي الشارع الفرعي للحي ، رتبت أغراضي في ذلك الخزانة كانت أمام السرير مباشرة ، وعدت أدراجي ونمت ، لم أحلم تلك الليلة ؛ لقد كنت متعبًا .

استيقظت علي صوت الخلاط ، لقد كان معتز هه كنت أعلم ماذا يفعل تلك المشروب الصباحي الذي اعتاد عليه ، لديه طريقة خاصة في صنع القهوة بالحليب بضربهم في الخلاط ، شديت الغطاء وأخذت بعض الملابس من الخزانة وسألته « صباح الخير يامعتز ، الحمام فين ؟ » « صباح الخير ياحازم ، أهو » شاور لي بابتسامه كان بعد المطبخ مباشرة لم ألمحه أمس ، أخذتُ حمامًا ساخنًا وخرجتُ لأجد كرسيين في المطبخ بجانب الحامل الرخامي ، معتز تخلَّى عن الكسل أخيرا وصنع الفطار وقال مازحًا « متاخدش علي كده » لم يكن الفطار التي اعتدت عليه لم أعلم في تلك المأكولات غير البيض المسلوق وكوب الحليب ، هاهاها لقد كنت أشتاق لمصر في أول يوم .

ولكن أثناء الطعام قلتُ لمعتز : « النهاردة في اجتماع إيه بقي؟ » ترك الفطار وأخذ كوب القهوة وأخرج علبة سجائره متوترًا وقال: « تقريبا كده هينقلوني الغرفة (303) » « إيه المشكلة يامعتز؟ » نفخ سيجارته وسند على الحائط « في غرفتين محدش بيقرب منهم في المستشفى الغرفة (303) والغرفة (77) ، الدكاترة بتخاف صدرولي الرعب حكايتهم عن الدكاترة اللي اتعملت معاهم مش كويسة ، أينعم أنا لسة متحددش هروح ولا لأ بس الخوف ، الخوف سيطر جوايا ، يمكن ده السبب اللي من أول ما جيت هنا كنت عايزك جنبي ، أنت دايمًا ، دايما ياحازم تقولي إن مفيش حاجات تانية ، دايمًا تقولي إن دول مرضى بس ، عشان كده محتاجلك ، محتاج أشوف نظرتك هل فعلا في حاجات خارجة عن إرادتنا و اللعب معاها غلط ؟ ولا زي ما بتقولي هلاوس، بارنويا ، انفصام حاد ، ولا الناس دي مسيطرة عليهم حاجة أكبر؟ المستشفى اللي أنا فيها يا حازم نشاطها مش معروف ، المرضى من جنسيات مختلفة ، نشاط المستشفى في الطب النفسي معتمد على

55 طبيب ، لازم تكون مقتنع إنهم مرضى فعلًا زي ما أنت مقتنع كده بالظبط ، المستشفي 20 دور كل دور تقريبًا فيه 10 غرف ، كل حالة غير التانية ، حالة مثلًا بتاعة الغرفة 50 ودي اللي بتابعها ويئست ! ، « احكيلي يامعتز احكيلي أنا سامعك ومركز » أخذ نفسًا من سيجارته ونظر في سقف الغرفة وقال « مقتنع إنه من الحملة الفرنسية من أيام نابليون وقال اسمه بالتفاصيل وإنه تاه في الصحراء لما الحملة خرجت ..» « وده كلام يتصدق برده يامعتز » « آه يتصدق ياحازم !! آه يتصدق ، العلماء لسه معرفوش لسة في سفر عبر الزمن ولا لأ » !

أمسك هاتفه وتقدم باتجاهي و أراني صورة المريض : « شايف المريض ده ياحازم؟ »! « آه شايفه » سحب مني الهاتف وكان يبحث عن شيء فيه ، و أخرجه « أهوو ، أهو هو ده !! نفس الشكل نفس اللبس نفس التقرير عن الخمس فرسان اللي تاهوا ، ده غير أنه وصفلي الحملة بأدق التفاصيل وصفلي نابليون كان بيشرب إيه وياكل إيه ، وصفلي كان عايش فين ، حتى الحي اللي كان عايش فيه قليل اوي اللي يعرف إنه اتغير الاسم بتاعه وقليل اوي اللي عارف أمر الفارس ده ، وفي التقارير لقينا محل بتاع زهور كان حاطط صورة شبيه ليه ولما سألنا قال إن ده كان فارس مغوار زمان من أيام الحملة وده اللي وقف مع نابليون بعد ما خسر الحملات ، الرسمة شبهوا بالمللي ، بس دي حالة من الحالات قوم ألبس قوم ألبس عشان هتأخر » قالها في نغمة حزينة ، وركبنا السيارة ولم أنطق بحرف ، ما هذا الهراء وما هذه المشفى السرية ، لم أتكلم حتى وصلنا مقرًا خاليًا من السكان ودخلت المشفى على نظرات الأطباء لي ، وهم يتسابقون لقاعة الاجتماعات ، و عند دخولي رحَّب بي دكتور طارق مدير المستشفي أشد الترحيب « أقدملكم دكتور حازم الدميري ، عدد المصرين كبر جدًا هاهاها سمعت عنك كتير من معتز ، معتز ولد مجتهد قبل أي حاجة وقبل ما أخش في اجتماعنا مع الدكاترة ، المستشفى دي محدش

يعرف عنها حاجة بتعالج حالات مستعصية ، حالات فاقدي الأمل فيها الأطباء العادية ، كل حالة هتقابلها هنا غير التانية نهائي وأظن أن معتز فهمك » رحبت به وابتسمت ، كانت قاعة مليئة بالكراسي ويتوسطهم طاولة الاجتماعات الكبيرة ، وجلست علي الكرسي بجانب حازم لأسمع المحاضرة » وقال « أنا عارف إن في ناس منكم مش عايزة تاخد غرف معينة وتابع حالات معينة ، بس أنتوا جيتوا هنا باختياركم ، أنا آسف لو حطيت اسم واحد فيكم على غرفة مش عاجباه بس ده شغل ، وأنتم قدها » لم أنتبه للمحاضرة كثيرًا ، كنت أركز في نظرات معتز الثابتة وضغطته علي يدي بقوة ، كان في عالم آخر غير عالمنا ، كالمتشوق لنتيجة الثانوية العامة ، وبدأ دكتور طارق يوزع الغرف علي الأطباء حتى جاء موعد معتز « معتز آدم ، الدور الثامن الغرفة (303)» فك معتز ضغطته علي يدي تبلَّدت مشاعر وجهه ، نظرات الأطباء لمعتز كانت صعبة ، كأنها توديع ، لا أعلم لم؟ ، حتى جاء اسمي « حازم الديميري الغرفة (77) » نفس تلك النظرات كانت لي !! ولكن الاختلاف الوحيد هو ابتسامة معتز وعدم نظره إلي وضغطه علي يدي ولكن برفق تلك المرة ، أريد قهوة ، هل لديك قهوة ؟ سأكمل لك بالتأكيد .

****

أشكرك علي القهوة ، تدري لِمَ أنا متمسك بك ! تدري لِمَ أحكي لك أنت روايتي ، لأنها هنا ! نعم هي هنا ، لا أريد أن أُشتَّت وأنا أحكي ، أنا أريد أن أتذكر كل شيء ، كل شيء بأدق التفاصيل ، نظرة الغضب في أعينها ولكن سأحكي ، دعك من كل ما قلتُه للتو ، وقفنا إلى أين ؟ نعم أتذكر قبضة معتز على يدي برفق ! حسنًا ، خرجنا من قاعة الاجتماعات الباهظة ، خرجنا والكل مستاء لما حدث لنا ، أنا كنت لا أعلم لِمَ الجميع ينظر إلينا بشفقة ، معتز كان بارد الملامح ، يده وهو يمسك السيجارة مرتعشة ، لم يُصدَر منه كلمة واحدة ونحن في الدور الأول - دور الأطباء - كنتُ أريد معرفة - ولو نبذة -

عن تلك الغرف ، لا أحد يتكلم لا أحد ينطق بحرف في الممر ، كله نظرات وبالتحديد كانت النظرات لمعتز أكثر مني بمراحل ، الممر مكون من عشرين غرفة الأعداد الزوجية من الدور الأول على اليمين ، أما الأعداد الفردية على يسار الممر ، كل طبيب لديه ورقة يعلَمُ الغرفة التي سيدخلها ، تجاوزت غرفتي وكانت الغرفة(12)، و أكملت السير مع معتز ، معتز لم يلاحظ سيري بجانبه ، لم يلاحظ أيضًا السيجارة التي احترقت بالكامل في يده دون أخذِ نفسًا واحدًا ، توالت الأطباء في دخول الغرف حتي أصبحنا سبعة أطباء ثلاثة منهم دخلوا الغرفة تسعة عشر لمكاتبهم ، و أربعة منهم انا دخلوا الغرفة للغرفة (20) ! ، ولكن استوقفني مدير الدور رجل بشعر ابيض أصلع نضارته سميكة سِنَّهُ 55 سنة تقريبا وهو يقول لي بالألمانية « مش مسموح تدخل الغرفة دي دي للدور ال (20)» بالتأكيد لم أفهمه ، لم أتعلم الامانية غير الطفيف منها ولكن فهمت قصده من إشارات يديه ، عدتُ أدراجي في الممر وحيدًا وأنا أتامل الممر بالمصابيح التي تغطيها في كل مكان في السقف ، لقد كنت أفكر لِمَ معتز حزين بتلك الطريقة ، وظللت أفكر أني في مشكلة كبيرة إن كانت الأطباء يتحدثون الالمانية فقط ، وأنا أعلم أن الشخص الألماني معتزٌ بلغته جدًا ولا يتحدث الانجليزية كثيرًا ، كانت هي المشكلة لي لأنني بالتأكيد إذا كان الوضع هذا لم أعرف مشكلة تلك الغرف مطلقًا ، وبالتأكيد دكتور طارق عز الدين مدير المستشفى لن يتحدث في ذلك الموضوع مطلقًا ، ولكن تذكرتُ مقولة قالها في الاجتماع « أقدملك دكتور حازم الدميري » قالها بالإنجليزية ولكن عندما قال « واضح إن عدد المصرين بقي كبير » قالها بالعامية المصرية ولمحت أناس يضحكون ، بالتأكيد !! بالتأكيد هنا يوجد أحد يتحدث العربية إن لم يكن مصريًا ، كنت مغرقًا في تفكيري ونظرت في ورقتي كانت الغرفة رقم 12 تجاوزتُ غرفتي لذا أشعلت سيجارتي ورجعتُ للخلف لغرفتي ثانيةً ، وعندما دخلتُ الغرفة رقم 12 ، كانت توجد بها ثلاث مكاتب ،

مكتب يساري ومكتب يميني ، وفي المنتصف مكتب ! كانت تجلس عليه سيدة ذات شعر أسود 25 سنة تقريبًا تكتب شيئًا ما ، قد يكون تقريرًا ، لم تهتم كثيرًا بوجودي ، سواء تلك النظرة بابتسامة جميلة .. لاحظتُ شيئًا غريبًا لِمَ غرفتنا الوحيدة التي يوجد بها اثنان فقط لِمَ المكتب اليساري لا يوجد عليه أحد ، وفي ظل تفكيري هل تتقن اللغة الانجليزية؟ ، إذ طرق الباب شاب أسمر البشرة بملابس رجال القهوة ، نعم هو مسؤول عن البوفيه ، وطلبت منه قهوة باللغة الالمانية ، ونظرتَ إليَّ ، وتحدثت بالعربية « تشرب إيه يادكتور حازم » بعربي مكسر ارتحتُ ، لقد ارتحتُ علي نغمة صوتها ، طلبتُ القهوة بابتسامة ، وخرج الشاب وقفل الباب ، أما أنا فسحبت كرسي وجلست أمام المكتب خاصتها ، وقلت : « أنتِ عربية » ؟ « أممم شوية » « شوية إزاي ؟ » « ماما مصرية وبابا ألماني » ابتسمت ونظرت على اسمها الذي يتوسط المكتب « دكتورة سيرا » اسم جميل ولكن الأجمل هي بشعرها القصير ، لم أكن محبًا للشعر القصير ، ولكن عندما رأيتها غيرتُ مفاهيمي ، ذلك الوجه الملائكي ، والخدود الحمرواتان ، فعند ابتسامتها تظهر غمزاتان قادران علي إسقاطك أرضًا ! ، أنا لا أبالغ ، فهي حقًا جميلة واسمها أجمل ، « دكتورة سيرا أنا ، انا عايز أعرف شوية معلومات » تركَت قلمها ونظرت تجاهي « اتفضل يا دكتور » « دكتورة سيرا هو ليه الغرفة بتاعتنا احنا 2 بس في حين إنَّ كل الغرف فيها 3 » « ده حوار طويل دكتور حازم تأتي القهوه وسأشرح لك » سيرا ، حتى لهجتها العربية الغير مُتقَنة جميلة عدم نطقها لحرف ال ح ، لقد كانت أشبه في النطق بهيلجا بطلة فيلم أحمد ذكي في النمر الأسود.

وقاطع تفكيري تلك الصوت ، نعم طرقات الباب من جديد كان الشاب ذو البشرة السمراء حاملًا القهوة ، تركها واستاذن بالخروج ، سيرا تركت القلم وقفلت الكراس ونظرت لي « إحنا هنا (2)بس كان معانا دكتور چونسون ، كان بيتابع الحالة بتاعة

الغرفة (303) » « وراح فين دلوقتي » « أنا كنت لوحدي أنا وحازم لمدة (4) شهور وشوفنا دكتور چونسون وهو بيودعنا عشان يطلع الدور ال (20) ، هو استمر اسبوع واحد بس في الغرفة ، ومحدش يعرف عنه أي شيء لحد الآن» «إزاي يعني » « لا أعلم ولكن في آخر أيامه في المقر مكانش بيتحدث لأحد نهائي » « سيرا أنا قلقت على حازم هو حازم هيحصلوا حاجة ، أنا عايز أعرف كل حاجة عن الغرفة دي » « لينا قعدة بعد الشغل في كافيه أنا بقعد في هحكيلك اللي أنا أعرفه بس ، بس أنت كمان في مشكلة أنت غرفتك بردو عليها أسرار كتير يمكن أقل بس فيها والكلام ده مش تطلعوا برا !! » .

كلامها أثار فضولي ، لِمَ چونسون هذا أختفى ، ما حال تلك الغرفة ولأي مدى خطورتها ، وما أنا مقبل إليه في الغرفة (77) أيضًا .. أريد أن أغير السترة التي أرتديها ، أنا أرتاح في كلامي ، نعم أرتاح وسأكمل أعدك سأكمل كل ما لم تعرفه ، أعدك سأكمل ما لم يقله لي الأطباء ، ولكن دعني ، دعني أغير تلك السترة البلهاء !

****

أظن أنَّ هذة السترة أفضل من ذي قبل ، نعم البيضاء أفضل من الخضراء ، دعك من هذا ، سأكمل لك ، تركتني في فضولي ، لِمَ چونسون هذا اختفي ؟، ما حال تلك الغرفة ولأي مدي خطورتها ، وما أنا مقبل إليه في الغرفة (77) أيضًا ، ذهبت لمكتبي لأرى تقرير الغرفة(77) ، فتحتُ التقرير تتوسطه صورة كانت لفتاة سنها 35 سنة ، اسمها « أماندا » لا تتكلم مع أحد ، في الماضي كانت رسَّامة ، نعم تخرَّجَت من كلية الفنون الجميلة ، عام 2005 ، ما حدث لها كان مؤسفًا ، تشبه قصتي كثيرًا ، لقد حرق بيتها بالكامل بما فيه أسرتها ، فقدت أسرتها ولكن المؤسف في ذلك الامر أنها هي من حرقتهم في منتصف اليل ! أشعلتِ النار فيهم و نَجَت بأعجوبة ، الطبيب چيمي باتريك في هذا

التقرير القديم يقول أنها لا تتكلم بل تعبِّر بالرسومات عن حالتها ولكن هناك خلل عقلي ، ففي رسوماتها دائمًا ما تضع امرأة معها مفرودة الشعر ، رسمها يكون بأدق التفاصيل ، ففي الكراس خاصتها ترسم كل شيء بالوقت عندما تتحرك ترسم عندما تقف في الشرفة ترسم ، لا تفوت أي شيء ولكن دائمًا ما ترسم تلك الامرأة معها ، يقول أنها مبدعة ! في التقرير القديم أيضًا يوصف نظرتها بقلق دائمًا ، دائمًا عدسة عينيها تدور على أحد ما في الغرفة ، أحد ما تهابه ، يرعبها ، لا تنطق لأحد مطلقًا ، لا تشتكي ، ويُصنِّفها بتصنيف البارانويا ، أنا لم أكن تابعت الحالة ولكن إذا كان التقرير صحيحًا فتصنيف دكتور چيمي باتريك صحيح ، نظرتُ لسيرا وأنا أقول في نفسي لِمَ الخوف إذًا ! لِمَ المسألة صعبة لتلك الدرجة !

وهنا طلبتُ الأذنَ لأذهب إلى المريض ، ووافقت سيرا ، وفي خروجي لم أر في الممر إلا الشاب الأسمر يحمل كوبًا من الشاي فاستذنته لأعلم مكان المصعد الكهربائي وعندما دلَّني عليه ، وكان في آخر الممر ، ضغطت علي الدور الثاني عشر ، ولكن أحد ما وضع رجله في باب المصعد قبل الطلوع ! ودخل وهو يبتسم لي ، وقال : « أنا قصي من الجزائر ، أنت حازم صحيح » « أيوة أنا حازم اتشرفت بيك جدًا طالع الدور الكام ؟» « الدور التاسع عشر » « تعرف دكتور معتز » « دكتور معتز صديقي ، أنا اعلم ماذا تريد ! الغرفة (303) ، هنا ممنوع الكلام ، هنا نعمل فقط كما يقال في مصر الحيطان ليها ودان ، إذا علمت الإدارة اني تكلمت في شيء لا يعنيني سيتم فصلي ! وهذا سيكون أقل عقاب ، أنت تعلم أن مرتبنا ياعزيزي خيالي لأي طبيب شاب مثلنا هل هذا من فراغ ؟ أم لابد من تضحيات وإن دخلت تلك اللعبة حتمًا لا سبيل للخروج فإذا أردت أن تخرج ، اخرج فائزًا ، لا توجد حالة هنا تافهة ، لا توجد حالة هنا مريضة كما درسنا ، صديقك معتز صديقي أيضًا تعرفتُ عليه من أربعة شهور ، توجد أشياء لا أستطيع الكلام فيها هنا ،

سأشرح لكَ مافي تلك الغرف كلها ليس الغرفة تلك فقط » « سيرا عارفة الكلام ده ؟ » « هه سيرا زميلة عزيزة ، سيرا هي بنت رئيس مجلس إدارة تلك المؤسسة والمدير هو طارق عز الدين وهو خالها أيضًا ولكن تختلف عنهم » « ليه قولت مؤسسة مقولتش مستشفي » « هشرحلك سآتي لك إلى بيتك أنا أعلم أين هو وسأشرح لك ولا تتحدث لاحد بخصوصي رجاءً » « ليه ؟» « كما قلتُ لك ، دورك !! » لم أفهم أي شيء سيرا لم تقل لي أنها ابنة رئيس مجلس الإدارة ! ولِمَ لم تقل لي أن دكتور طارق خالها ، « دكتور حازم دورك ..! » قالها بابتسامة ! نزلت من المصعد واتجهت للغرفة 77 ، ولكن عندما فتحت باب الغرفة بال ID الخاص بالغرفة ، رأيتها نائمة ، قفلت باب الغرفة برفق لعدم إزعاجها .

كنت أتجول في الممر الثاني عشر ، كنتُ أريدُ أن أُفتشَ في كلِ الغرف ، ولكن لا أملك ال ID المسؤول عن فتحها !! الوقت كان يمر ببطيء ، أشعلتُ سيجارتي وجلست على مقعد في الممر أفكر في كلام قصي ، وبالتحديد في كلمة مؤسسة ليست مستشفي ! لعبة و أخرج فائزًا ، أي لعبة أنا هنا لأعالج مرضى !! وتذكرتُ جملته « لا توجد حالة هنا تافهة ، لا توجد حالة هنا مريضة كما درسنا ! كنتُ قلقًا للغاية ، قلقًا على معتز أكثر مني ، ما بال تلك الغرف ، وعندئذ استجمعت قواي ومشيتُ في الممر لآخذ المصعد ، وعند وصولي الدور الأول دخلتُ لسيرا ، وقلتُ : « علي موعدنا سيرا النهاردة؟ » « علي موعدنا ..» اخذت رقم سيرا

الوقت كان يمر ببطيء شديد ، لا أفعل شيئًا سوي التأمل في صورة المريضة « أماندا » صاحبة الغرفة (77) وأتابع الساعة ، كانت تشير إلى 1:55 دقيقة ظهرًا ، خمس دقائق مرُّوا كخمس سنوات حتى جائت ال 2:00 وخرجتُ من غرفتي لأرى الأطباء يخرجون في الممر من بينهم معتز ، لم ينطق كعادته ، خرجنا من المستشفي سويًا و ركبنا سيارتنا «

إيه الأخبار يامعتز؟ » « كويس » « معتز ما تفهمني أنت بدل ما أفهم من الغريب ؟ » « أفهمك إيه ها ؟ أفهمك إيه قولي؟ ، أفهمك إني طول حياتي بسمع كلامك ، أفهمك إني حبيت الكلية دي منك ! ولا أفهمك إن طول ال 7 سنين بتقولي ! مفيش حاجة اسمها أمور خارجة بتبقي ماوراء الطبيعة ، كنت أجيبلك الأدلة وتبررها ، شليت تفكيري ! ، أعجبت بكلامك بالذات وأنا باخد الكلام من واحد عاش تجربة أمه ومتأثرش وفسرها إنها مرض ، أمك قالتلك مش انا ! انا مش جايبك هنا عشان فلوس ، مش جايبك هنا عشان تساعدني ، انا جايبك هنا عشان تشوف بعينك ، اللي أنت بتحاول تؤمن بيه ، علشان كل مفاهيمك تتدمر ، كنت واخدك ثقة وجاي هنا أعمل فلوس ! أتاريني جاي أغير مفاهيم ، كنت فاكر إني أذكى واحد فيهم ! طلعت غبي ، وعلشان غبي مشيلش الليلة لوحدي ؟ لا أنا جبتك اثبتلي اني مش غبي ، وعلى فكرة إحنا مش في مستشفى ، إحنا في مؤسسة WTM ، بتاخد الحالات الفاشلة تعمل عليها درسات ، أثبتلهم ، أثبتلهم إنهم كدابين ، آه ولا أنا ولا أنت نقدر نسافر من هنا ، لو فكرنا بس في السفر هنتصفى ! هنموت يعني ! فالعب .. وسيبني في مصيبتي اللي أنا فيها هه الغرفة (303) ! أسوأ غرفة في المؤسسة !! »

كان منفعلًا ، يصرخ يلوح بيده ! لم يكن معتز الذي عرفته من قبل ! ، لم ننطق طوال الطريق بعد الذي قاله ، لم أكن خائفًا ! انا أؤمن بكل ماقاله ، ولكن كنتُ محبطًا لإحباطه ، كنت حزينًا لحزنه فقط ، وعند وصولنا الشقة أغلق على نفسه باب الغرفة ، كان يصرخ !! يصرخ ويسكت ، دخلت غرفتي وكنتُ متعبًا من تفكيري ونمت ، نمت قرابة الثلاث ساعات ، وعندئذ اتصلتُ بسيرا لأقول أني أريد أن أقابلها ، « آلو سيرا إنتي فين » « أنا متجهة للكافية لو عندك واتس هبعتلك اللوكيشن » « أيوة عندي واتس علي النمرة دي » « اتفقنا .. » .. أخذتُ مفاتيح سيارة معتز ، وانطلقت ..! وعند وصولي

لتلك الكافية وجدتُ سيرا ، كان بجانبها قصي ! جلست وقلتُ « السلام » ورده التحية وبعدها بدأت حديثي « قبل أي حاجة عايز أعرف كل حاجة بالتفاصيل عن المؤسسة دي » رد قصي وقال « إحنا شغالين في مؤسسة WTM السرية ، المؤسسة تلك تقوم باحتواء ،وتأمين حياة الأناس الغير قابلين لقوانين الحياة الطبيعية ، تلك الأناس تقوم بأشياء ما وراء الطبيعة ، أنت لم تتعامل حتي الآن مع أحد منهم ، كل قصة غير الأخرى ، أمام الحكومة والدول تكون مستشفى أمراض نفسية ، ولكن الحقيقة أصعب ! لا يوجد أحد مريضًا » « أنا عايز أعرف الغرفة 303 فيها إيه ، والغرفة 77 فيها إيه؟ » ردت سيرا « اللي أنا عارفاه هو الغرفة (303) ، (77) مفيش حد يعرف عنها كتير ، محدش بيخشها كتير وليها سر يمكن أكبر ويمكن أصغر من (303) » .. « احكولي » رد قصي « أثناء فترة عملي من شهور تردد علي الغرفة (303) ، أكثر من سبعة أطباء مختصين والنتيجة واحدة » «إيه هي ؟» ردت سيرا « يا بيموت يا بيختفي عن الأنظار محدش بيعرف عنه حاجة » .. « ياجماعة ده كلام مجانين » انفعل قصي « الحالة من عندكم في مصر ، اسمها نادية السيد أحمد ، الدكتور الوحيد اللي اتكلم ولحقنا كلامه كان اسمه ادوارد ، قال إن الحالة غريبة بتشوف المستقبل ، بس بتشوف الوحش فقط !! الوحش فقط ، أي خبر كويس لا تقوله .. وأضاف إلى ذلك أن .. « أن إيه يا قصي اخلص » « ما تقوله ينفذ ياحازم » .. « انتوا مصدقين ياجدعان الكلام ده !! » .. « نعم أنا اصدق .. اليوم قالت لمعتز وهي تبكي !! انت التالي »

****

« انا عايز أعرف حاجات كتير ، انا متلخبط ..، مثلا الغرفة (303) دي إيه السر في كده ، وليه عملوا المؤسسة دي أصلًا» ردت سيرا « أنا هقولك كل حاجة ، هقولك كل حاجة بالتفاصيل ، في بداية القرن التاسع عشر ، ظهر مرض اسمه الموت الأبيض ، والمرض

مكانش ليه علاج أتعرف دلوقتي بالصرع والتشنج لفترة كبيرة ، قضى علي ملايين من البشر ، دكتور اسمه سكروف ايدين عمل المستشفي اللي إحنا فيها دي ، المستشفى كانت مكونة من خمسة طوابق بس ، العلاج مكنش بآدمية ، لأنهم مكنوش عارفين العلاج إيه أصلا ، أكتر من 36 ألف حالة ماتوا في المستشفى ، كانت الجثث بتدفن في ممر واحد ، الأوراق الرسمية بتقول إن اللي مات 10 آلاف شخص بس ، مفيش ولا حالة شفيت في المستشفى ، لحد ما في يوم المستشفى دي ولعت ، ولعت بالممرضين بالأطباء بالمرضى اللي لسة بيتعالجوا ، وسنة 1970 اشتري والدي المقر ده ، في البداية كان هيبني فيلا ولكن العمال الليلين وهما بيبنوا كانوا بيقولوا إنهم بيشوفوا اطباء ماشيين من جنبهم ! ده غير صراخ في غرفة كانت لمريضة اسمها موري ، العمال كأنه بيقولوا إنهم بيسمعوها وهي بتقول اخرجوا من هنا ، والدي مكنش مصدق اللي بيحصل ، خصوصًا إنه دكتور نفسي كبير واسمه معروف ، العلم مفيهوش حاجة اسمها أرواح وأشباح ، العلم بيفسر وبيديك براهين ، لحد ما والدي نزل مصر لصديقه طارق عز الدين ، وهنا اتعرف على أمي واتجوزوا ، وقرر برضوا إنه يبني المستشفى فيلا ، لحد ما هو بنفسه كان بيسمع في الطابق العلوي صوت ولد بيلعب بالكورة ولما يطلع ميلاقيش حد ، في بداية الأمر كان فاكرة تهيؤات من آثار العمل ، بس بيحكيلي إن في ليلة شتوية كان بيكتب تقرير عن حالات ، لقي كورة صغيرة بتمشي ببطيء ناحية المكتب وورقة طايرة مكتوب فيها اسم طفل بيدعي (بوني) 9 سنوات ، والدي اترعب من الأمر واهتم بالأمر وتفاصيل الحكايات كلها ، اهتم بالموضوع جدًا و كلِّم طارق وعملوا مؤسسة بتلف العالم بدور على كل حالة غريبة بتشوف أو بتسمع أو بتتنبأ أو حتى بتفترض إنها مش من عالمنا إنها من زمن تاني أو حتى كوكب تاني بشرط المصدقية والأدلة الكافية والتعجيز العلمي للأطباء والعلماء النفسيين ، وعمل كده فعلًا و لف العالم ومستشفيات نفسية

ومصحات ، وقرر إنه يعمل مؤسسة WTM ، والمؤسسة دي بتصرف عليها حكومات العالم كلها ، بشرط إن كل الحالات اللي في المؤسسة محدش يعرف عنها حاجة بهدف عدم ترهيب العالم ، و أي تجاوز من حد شغال أو خروج معلومة واحدة من أي طبيب أو عامل بيتم عقابه ، إحنا شغلتنا مشرفين ، بنعرف الحالات بس بتعيش إزاي بتحس بايه بس كده ..»

نظرت إليهما بكل شغف لأعرف سر الغرفة «303» .. « طيب إيه بقي حكاية الغرفة (303) » .. تلك النظرة البائسة كانت علي وجه قصي وتنهَّدَ وقال « مايعرفه الأطباء عن تلك الغرفة ، هو أنها غرفة مخيفة تسكنها فتاة من مصر اسمها نادية السيد أحمد تلك إذ لم تصدقني فهذة قناعتك الشخصية وأرجو ألَّا تسفه بقناعتي ، فأنا على علم ولكن تلك الغرفة تسكنها فتاة لا أحد يعلم عنها شيئًا غير أنَّها وجهها شؤم لصحابها ، ترى أشياء من المستقبل ولكن أشياء سيئة لا أعلم هل هو قدرك أم هي من تحدد قدرك بأساليبها الخاصة ، لا تنظر برفع حاجبك ، انا أؤمن بالله وأؤمن بقضائه ، ولكن لا يوجد تفسير لتلك الحالة غير ذاك ، سبعة أطباء مروا عليَّ لم يظهروا حتى الآن .. » نظرتُ اليه وقُلتُ : « طيب هي جات امتي؟ » « جاءت من سنتين فقط ، لم أحضر بدايتها » « عندك معلومات يا سيرا ؟» « نفس اللي قاله قصي ، محدش يعرف جديد ..» .. « حلو اوي كده نشرب القهوة وتدلني علي البيت من هنا ياقصي انت قولتلي إنك عارفه » .

شربنا القهوة وانطلقنا ، كنتُ مشتتًا هل أصدق ، أم أتماسك و أصمد ، كنتُ متحيرًا أنا لا أؤمن بتلك الخرافات ، ظل تفكيري يراودني حتي تحدَّث قصي « أعتقد أنك إن كنت تحب معتز حقًا ، أن نخرجه من البلاد بطريقة غير شرعية » لم اتجاوب مع تلك الفكرة ولكن قلتُ لأريحه : « هناقشه في الموضوع » وعند وصولي المنزل شاغلني التفكير ، هل أعرض الفكرة علي معتز ، فإن عرضت تلك الفكرة ، سأكون في نظره كاذبًا مخادعًا تلك

السنوات ، و إن لم أعرضها فربما ، ربما أخسر أخًا وصديقًا !! حرقتُ الكثير والكثير من السجائر وفناجين القهوة ، لم أنم حتى خرج معتز من غرفته ، كان يرتدي بذلة زرقاء ويبحث عن ساعته ونظارته ، وقال : « أنت مش جاي ولا أيه » لم أكن أعلم ماذا أقول له ولكن سمعت تنهيدته « أنا آسف ، آسف على انفعالي إمبارح ، مؤسسة ، مستشفى أو حتى الجن الازرق ، أنا وأنت عدينا الأصعب من كده ، المكتوب هو اللي بيظهر ، أنا بس اتعصبت أنا عارف أنت كنت فين إمبارح؟ ، وعارف إنك خايف عليا ، انا بص ياصاحبي مش .. مش مدرك اللي داخله ده ايه ، مش مدرك كلامها إمبارح وبتقولي انت اللي بعده ، حط نفسك مكاني بس ، انا جايبك هنا عشان تقويني وتقولي مفيش أي حاجة صعبة » رأيت دموعه وجففتها بيدي وقلتُ « وأنا جنبك مفيش حاجة ، مفيش أي حالة مبتتعالجش يامعتز » .. خرج معتز وتركني قلتُ له غلبني النعاس يا صاح ! لن أذهب للمستشفى اليوم ..! احكِ لي عندما تأتي عن يومك في تلك الغرفة ، احكِ لي ! وسأحكي أيضًا أنا لك .

****

اعذرني ، سأرجع بك إلى ماضيَّ الحزين ، تذكرتُهُ الآن وتذكرتُهُ عندما جلستُ وحدي بعد خروج معتز ، ترددتُ عليَّ تلك الأفكار القديمة ، كما قلتُ لك من قبل كانت طفولتي سعيدة في بدايتها و لكن تغيرَّ كل شيء عندما رأيت أبي يُقتَل ، رأيت مصدر سعادتي يُقتَل أمام عيني ، والقاتل أمي ، تَخيَّل معي كيف كان شعوري كان شعورًا متضاربًا بين الخوف وعدم الاستيعاب ، صدمة أثرت على حياتي ، شيء غير مُتوقعٍ لطفل ! خارج عن نطاق خبراتي ، كنتُ أخاف بشكل عظيم ، كنتُ عاجزًا عن فعل أي شيء تجاه تلك الحدث ، عندما درست بعد ذلك علمت أنه يجب معاملة الاطفال الذين مرُّوا بصدمات نفسية كهذه باستراتيجيات بشرية للتعامل مع هذا الحدث ، ولكن حينما كنتُ صغيرًا ذاك

الموقف لم يخرج من أذهاني ، فقدتُ النطق لسبعة أشهر ، أتذكر ، أتذكر عمتي فاطمة عندما توَّلت تربيتي وهيا تلقني الهجاء ، كنتُ أخاف من دخول تلك الغرفة التي وقعت بها الحادث ، لقد عشتُ اسبوعًا بعد الحادث لا يخرج من ذاكرتي ، في بداية الأمر حضرت عمتي ، و أقاربي ونصبوا صوان أبي تحت بيتنا ، لقد أخذني عمي و وقف في أول الصف حيث المعزين يتاوفدون للتخفيف عن آلمنا ، كنتُ أراها ، أرى أمي بين الحاضرين ، كنتُ مرتعبًا من نظرتها لي ، كانت تبتسم ، وددتُ أن أصرخ ولكن كان لساني مغلغلًا فاكتفيت بهز كتف عمي والمشاورة ، ولكن كانت اختفت ، عمي مسح علي جبيني وشعري ، نظرتُ في الأرض ، كنت أشعر بأنني لن أعبِّرَ ، لن أتكلمَ مجددًا .

عند طلوعي بيتنا كانت في المنزل عمتي و أولادها ، لم تأت خالاتي ، فعمتي كانت غاضبة كنتُ أسمع عمتي فاطمة تتحدث مع عمي والدموع تملؤ أعينها « يمين تلاتة ، لو شوفت واحدة من العيلة دي لاقتلها يا سعيد ومبقاش فاطمة الدميري » بكيت ، بكيت بصوت عالي عندما سمعت كلمة قتل ، هرولت عمتي تجاهي وقالت « امشي يا سعيد ، امشي يا سعيد بأخبارك ، نفسية الطفل ضاعت ، اهدى يا حازم مفيش قتل تاني ولا حاجة » كانت تحبني ، عوضتني عن حنان أمي ، عمتي فاطمة كم وددتُ أن أتحدث و لو ثانية لأقول كلمة واحدة « أنا أحبك » ولكن هي كانت تفهم وتأخذني في حضنها الحنون ، اسبوع العزاء كنا ننام في غرفة أمي أنا وعمتي و أولاد عمتي ينامون في الصالة ، لا أحد يقترب ناحية غرفتي القديمة ، جريمة القتل التي حدثت فيها ، و لكن أتذكر صوت صرير باب غرفة أمي وهو يفتح وأنا في حضن عمتي ، أتذكر وجهها ، وجه أمي وهي تفتح الباب وتنظر إلي ، كانت غريبة ملامح أمي ولكن غريبة !! حَضَنت عمتي بقوة وسحبتِ الغطاء ، كنتُ أريد أن أصرخ لأوقظ عمتي ، لم أقدر ، كل ما فعلته هو رجفتي من الخوف ، و لكن تلك العمة حست بي و استيقظت ، لم تنم تلك اليوم ، حست أنَّ هناك

شيئًا في تلك الشقة ، لقد دمرت نفسيتي ، كنتُ لا أعلم ما الحقيقة وما الخيال!؟ هل هذا حلم وسأفيق منه أم لا ؟ وبعدها تركنا الشقة كانت تعلم أن الشقة تؤثر علي نفسيتي ، وعرضتني عمتي فاطمة علي طبيبٍ نفسي ، لقد عانت معي حتى تحدثت ! ، وقال الطبيب أنَّ كل شيء من محض خيالي فقط نتيجة الصدمة ، وتعافيتُ ، ونطقتُ أول كلماتي مجددًا بشكر عمتي .

لقد أهلتني نفسيًا من جديد ، لم أطلب شيئًا في حياتي قط إلا و جلبته لي ، لم تحرمني من شيء ، ولكن لم تقدر علي العزلة ، لقد كنت أخاف الكلام الكثير مع الناس ، كانت حياتي ضيقة مقتصرة على عمتي وزوجها و أولادها ، لقد احتوتني ، ولكن لم أكوِّن صداقات في المدرسة أو غيرها ، لم أحب ، لم أعرف كلمة انجذاب للأنثى في مراهقتي ، لقد عشتُ انطوائيًا ، حتى تعرفت على معتز في إحدى دروس الفيزياء ، أتذكر أول لقاء بيننا .. كان تصويرًا لأوراق للفيزياء وقد سُرِقت نقودي ، فصُوِّر لي تلك الأوراق و أعطاها لي ، ومن هنا بدأت تلك الصداقة ، لقد تشاركنا كل شيء .

حتى حلمنا كان واحدًا - وهو مجال الطب النفسي - لقد اقتنعتُ بالطبيب الذي عالجني و اعجبت بطريقته فأدركت حينها أننا مرضى و أن أمي كذلك ! .

تلك ماضيَّ الحزين المليءُ بالمتاعب ، لا أريد أن أغوص معك فيه كثيرًا ! ولكن كما قلتُ لك تذكرته الآن ، وتذكرته عند خروج معتز .

****

« دعك من طفولتي الآن ، وانا سأدعني من نظرتها لي ومهما بلغني الأمر ، سأروي لك دائمًا ما يقولون أن حكايات الروائي لا تموت على مر الزمن حتى إذا فارق الحياة ، فسأحكي ، مكثتُ تلك اليوم في المنزل بعد خروج معتز للمؤسسة تلك ، وظللتُ في

تفكيري حتى غلبني النعاس علي الأريكة أمام التلفاز ، لم أستيقظ ، لم ألاحظ أن معتز جاء من العمل ، فاستيقظت علي قرابة 6:44 دقيقة مساءً ، وحينئذٍ دخلتُ الحمام لأغسل وجهي و أفيق ، وعندما خرجتُ رأيت معتز ، لقد كان فرحًا يسمع في أذنه أغنية صاخبة ويرقص عليها ، تعجبتُ ! ، هل ذاك الرجل هو هو نفس رجل الصباح ، ما اختلف ، وحينها قال لي : « حازم ، أنا فرحان ! » « يا سيدي يا رب دايمًا بس ليه » « هحكيلك ، هحكيلك اليوم مر إزاي ، أول ما دخلت كنتُ متوتر من جملة أنت اللي بعده اللي قالتهالي إمبارح ، أول كلامي كان صباح الخير يا نادية ، ابتسمت وهزت رأسها .. كنت قلقان وبراقب الغرفة ، مكنتش فطرت ! ، طلبت منها إنها تفطر قالت مش عايزة ، قولتلها نفس أسلوبنا أنا هنا مش دكتور ، انا هنا مش عايزك تتكلمي غير وقت ما أنتي عايزة لو طلبتي إن أخرج حالًا هخرج ، بس لقيتها خافت وقالت لأ متخرجش ، حكيتلي اللي بتمر بيه كله ياحازم ، انا اقتنعت فعلًا إنها مريضة وعندي ليك خبر حلو بس مش ليا أنت اسبوع أجازة من الشغل الدور بتاعك أنت وسيرا لحد ما ييجي دكتور جديد » « أنت فرحتني شلت هم كبير من عليا ، بس بخصوص الأجازة ممكن أذاكر الحالة » « بكرة هجيبلك الورق اللي بيخص حالتك وهنبدأ شغل » ..

لقد طمأنني ، نعم طمأنني ، لقد شعرتُ بعدم احتياجي لقصي وسيرا وتخريفهم الكاذبة ، وإن كنا في تلك المؤسسة سأثبت أن تلك الحالات مريضة ليس إلا ، مكثتُ أمام التلفاز أتابع المسلسلات والأفلام ، وطلبت معرفة أين نسكن بالتحديد من معتز لأنني سأخرج تلك الليلة لأحتفل في شوارع برلين ، وبالفعل خرجتُ في تلك الشوارع بسيارة معتز كنت أتجول لا أعلم وجهتي بل تجوُّلٌ فقط الحقيقة لم أمل من تلك الأحياء العظيمة ولكن كان الوقتُ تأخر ، و عدت أدراجي للبيت ! ركنتُ السيارة وتوغلتُ وطلعت علي سلالم شقتنا ، من هرولتي لم أتذكر أمر مفاتيح الشقة التي جلبها لي معتز ، والساعة متاخرة

وأنا أعلم أنَّ معتز لن يستيقظ ، فنومه ثقيل جدًا ، وبعد محاولات عديدة من رن جرس ورن مكالمات ، فَتَحَ الباب ، كان منظرُهُ كوميديًا جدًا ، لم يتكلم وأنا أستهزئ بنومه ومنظره وهو يُلَوِّح بيديه .. دخلتُ غرفتي و نمتُ ، وفي الليلة الموالية جاء معتز متأخرًا جدًا في حدود 7:12 دقيقة مساءً كان متعبًا ، تنهَّدَ عند فتحه باب الشقة و أنا أشاهد التلفاز ، و رمي لي ملفًا للحالة وقال : « حازم أنا تعبان جدًا وعايز أنام ، الحالة معاك أهي » لم يروِ تفاصيل يومه كعادته وأنا لم أضغط عليه ، الملف كان للفتاة آماندا مريضة الغرفة 77 كان في الملف ثلاثون ورقة لستة أطباء كل طبيب يرو متابعته للحالة .

لقد سهرتُ تلك اليوم على تقارير الأطباء ، درستُ تلك اليوم تقريرًا واحدًا للدكتور چيمي باتريك ، لقد أخذتُ تخاطيف منه من قبل وذكرتُها لك ، وسأذكر لك بالتفاصيل تخرجت آماندا چوني من جامعة برلين لكلية الفنون الجميلة سنة 2005 كانت موهوبة ، وهذا كلام أصدقائها وزملائها في الجامعة وكل من يعرفها ، ولكن ذات يوم رسمت رسمة غيرت مجرى حياتها ، فازت الرسمة بمسابقة المعارض للرسوم ، لا أعلم ما هي الرسمة ليست مذكورة في تلك التقرير ، كل المذكور أنها بعد تلك الرسمة حرقت أهلها بالكامل وحُرِقت معها ولم تُحرَق تلك الرسمة ! ولا أحد يعلم مكانها إلى الآن ، يقول دكتور چيمي باتريك أنه عانى من أجل معرفة تلك الرسمة منها ولكن كانت لا تتكلم ، لا تتكلم مع أيٍّ من الأطباء .

****

في اليوم الثاني

سهرتُ على تقرير دكتور إيديسون ليميز ، لقد كان شفافًا أكثر ، درس الحالة وكان لا يهتم بالتفاصيل التي أدت أنَّ الحالة تصبح بالوضع ذاك ، ففي تقريره يَصِف آماندا

بالوجه الملائكي الحزين ، فأماندا چوني مبدعة فعلًا ، ترسم كلَّ شيء بالدقيقة ، لديها كراس رسم كبيرة جدًا ترسم في كل شيء بالوقت بالتاريخ فإذا تحركت ترسم تحركها بأدق التفاصيل ، ولكن هناك خلل فاماندا ترسم معها شخصًا ، كانت امرأة لا تُحدِدَ ملامحها في الصور ، ترسمها بوضعية واحدة .

في اليوم الثالث سهِرتُ علي تقرير دكتورة سارا بورتث ، اهتمت بجزء اخر ، وهو أكلها ، فتقول « اماندا ذات الوجه الملائكي ، تأكل الفراخ بعظمها ، لا تاكل اللحم فقط ! ، أنا يئست من تلك الحالة لا أعلم أيُّ تفسير حتى الآن ، لا تتكلم ، لا ترد علي أسئلتي ، لا تبتسم ، لا تبتسم مطلقًا ، وجهها بدون تعبير ، نادرًا ما تنظر إليَّ .

كل ذاك تلخيص ثلاثة أيام سهر ، ثلاثة أيام مجهود ، أعتقد أني في تلك الايام نسيت أمر معتز تمامًا ، فأنا قلبت نومي فأصبح ليلي نهارًا ونهاري ليلًا ، لم نتحدث كثيرًا ، هو أيضًا لم يتكلم ، حتى إذا جاءت الليلة الرابعة وأنا منشغل في التقرير الرابع إذ أسمع صوت بكاء شديد أتى من الصالة ، خرجتُ لأرى معتز يبكي : « مالك يامعتز في ايه؟ » كان يخرج منه الكلام بصعوبة : « أنا مش عايز أروح المؤسسة تاني ، قالتلي هتموت في نهاية الاسبوع ، النهاردة الاربع هموت الجمعة يعني ! ، قالتها وهي بتعيط ياحازم ، بيقولوا لما بتعيط بيحصل انا خايف ، خايف ياحازم ، مش عايز أمووت » لقد وقعت عليَّ تلك الكلمات كالسهوم في الصدر ، لم أرد ، لم أتكلم ! ولكن خرجتُ عن سكوتي ، وانصعت لكلام قصي ، وطلبتُ من معتز أن يحكي لي بالتفاصيل ماحدث.

****

طلبتُ من معتز أن يرويَ لي ما حدث في الثلاثة أيام الماضية ، وقال في صوتٍ أجش « أنا مش عارف مالي ، مش عارف هيحصلي إيه ، مكنتش بتتكلم ، مكنتش بتتكلم نهائي ، أنا

اللي خليتها تتكلم ، انا اللي قربت منها ! كنت عايز أعرف أي خيط لعلاجها ، تصرفاتها كانت طبيعية بس في حاجات ، في حاجات مش طبيعية بتكلم ناس معاها في الاوضة وأنا معاها زي مثلًا اقعدي هنا ، متتكلميش كتير ، سيبي المشط بتاعي ، حاجات كنت فاكرها مرض ، لحد ما خدت عليا اليومين اللي فاتوا ، إمبارح سألتها بتكلمي مين ، مردتش عليا ، بس بعد 10 دقايق قالتلي انت اللي هتتابع حالتي يا معتز ، مكنتش عارف جابت اسمي منين ! شككتني في نفسي هل قولت اسمي ولا لأ ..! مفتكرش إني قولته لأن مجتش فرصة بس عديتها ، قولت أيوة هتابع حالتك ولو عايزة تتكلمي أنا موجود ، بصيت جنبها كتير وقالتلي هتصدقني !؟ من واجبي إني اخليها تتكلم حتي لو اللي بتقوله تخاريف وضد أفكاري ! وعشان لازم تتكلم قولت أكيد ، أكيد هصدقك ! ، قالتلي إن عيلتنا من زمان بيختاروا منهم واحد يشوف المستقبل ويبقي بتاعهم ! بس بيشوف الوحش بس ! معرفش هم اللي بيعملوا الوحش ده ولا هو مكتوب ، قلعت نضارتي وجبت ورقة وقولتلها مين اللي بيختار ! ابتسمت وقالت : اللي كانوا قبلنا ، كانت نظرتها مخيفة وأنا مفهمتش اي حاجة ياحازم ، مفهمتش أي حاجة من اللي بتقوله ، النهاردة اتكلمنا كتير شخصية واعية يا حازم بس اوقات ، أوقات بس بتتوه مني ، قالتلي إن علاجي مش هيجيب نتيجة ، روحت مكتبي اتصفحت الإنترنت أشوف أي حالة مشابهة ملقتش زي نادية نهائي ، ولما رجعت لقيتها بتعيط وتقولي أنت هتموت بعد الاسبوع ده ، حولت أتماسك ياحازم وما ابينش أي حاجة ، وخرجت ، أنا فعلًا خايف ومش هروح المؤسسة دي تاني حازم انا عايز أسافر ..» .

لقد تشتتت مفاهيمي تلك الليلة بين الخرافة والحقيقة ، لا أعلم ماذا سيحدث لمعتز ، لا أعلم أي شيء ، كنت أريده أن يصمد أن يخرج تلك الأوهام من أفكاره ، أن يظل بجانبي لنثبت سويًا أننا علي حق ! ، إذا ظل هكذا سيموت حتمًا بعد اسبوع واحد ،

ليس منها ولكن عقله سيدرك أنه سيموت فسيتوقف قلبه عن النبض ، ففي أحد الكتب النفسية قرأتُ أن الدكتور " بورهيف" قام بتوظيف بعض المجرمين في تجاربه و أبحاثه العلمية المثيرة مقابل تعويضات مالية لأهلهم و أن تُكتَب أسماؤهم في تاريخ البحث العلمي .

و مجموعة من المغريات الأخرى ، و بالتنسيق مع المحكمة العليا و في حضور مجموعة من العلماء المهتمين بتجاربه

أجلس بورهيف أحد المجرمين المحكوم عليهم بالإعدام ،

و اتفق معه على أن يتمَّ إعدامه بتصفية دمه

بحجة دراسة التغيرات التي يمر بها الجسم أثناء تلك الحال

عصّب بورهيف عيني الرجل ، ثم ركّب خرطومين رفيعين

على جسده بدأ من قلبه انتهاء عند مرفقيه ،

و ضخَّ فيهما ماءً دافئًا بدرجة حرارة الجسم يقطر عند مرفقيه ، و وضع دلوين أسفل يديه و على بُعد مناسب ،

حتى تسقط فيهما قطرات الماء من الخرطومين و تُصدر صوتًا يُشبه سقوط الدم المسال ، و كأنَّه خرج من قلبه مارًّا بشرايينه في يديه ساقطًا منهما في الدلوين و بدأ تجربته متظاهرًا بقطع شرايين يد المجرم ليصفِّي دمه و ينفذ حكم الإعدام كما هو الاتفاق . بعد عدة دقائق لاحظ الباحثون شحوبًا و إصفرار يعتري كلَّ جسم المحكوم بالإعدام ، فقاموا ليتفحصوه عن قرب ، و عندما كشفوا وجهه فوجئوا جميعًا بأنَّه قد مات ! مات بسبب خياله المُتقَن صوتًا و صورة دون أن يفقد قطرة دم واحدة ! و الأدهى أنَّه مات

في الوقت نفسه الذي يستغرقه الدم ليتساقط من الجسم و يسبِّب الموت ، مما يعني أنَّ العقل يعطي أوامر لكل أعضاء الجسم بالتوقف عن العمل استجابةً للخيال المُتقَن كما يستجيب للحقيقة تمامًا !! فأعتقد إذا ظل معتز في خيالته حتما سيموت ، ولكن ما أشعر به ليس هذا ، ما شعر به هو تضارب افكار ، إن انصاع لكلام قصي وسيرا أن الحالات في تلك المؤسسة فعلا ليست مريضة ، أم انصاع لأفكاري وعلمي ومانشأت عليه خيارًا ، فأنا أيضًا كنت أسمع و أرى أشياء غريبة ولكن طبيبي النفسي التي جلبته لي عمتي فاطمة أهداني للطريق الصحيح ، حيث وددتُ أن أصبح مثله لأشفي جميع الحالات تلك ، لأشفي حالات مثل أمي ! أم كل هذا العلم هراء ، وهم تركوني فحسب !! ، تركوني من أجل قربي صلاتي وقربي إلى الله ! عقلي يرفض تلك المفاهيم الخاطئة وقلبي لا .. لمن أنصاع ؟

لقد كنتُ مشتتًا جدًا ، عقلي يريد أن يرى نهاية هذا الأسبوع بشدة ! وقلبي لا ! قلبي يؤكد أنها نهاية معتز .. عيناي ثابتة على معتز أتامله ، لا ينظر إلي ، يده علي رأسه وينظر في الأسفل ، كان مرتديًا قميصًا أسود وبنطال چينز وبجانبه شنطة سفر لا يتكلم ، ولا أنا أستطيع أن أقول شيئًا ! وعلى هذا الصمت التام دق باب الشقة ! ، قام من مكانه وفتح الباب كان قصي ، نظر إليَّ وقال : « مفاتيح الشقة هنا والرخصة هنا ، هشم نفسي يومين بس كده و أرجع » « ألبس وأجي معاك؟» « لأ .. أنا عايز قصي في موضوع مهم هيخلصهولي وهيمشي على طول » .

لم أعرف ماذا أقول ودعني وغادر!

****

ودعني وغادر ، تركني في تفكيري ، كنت أريد أن أشغل نفسي بأي شيء مهما كان ، وتذكرتُ أمر تلك التقارير ، ذهبتُ لعمل كوب من القهوة حتى أسهر على تلك التقارير ، فأنا أنهيت ثلاثة من سبعة فقط ، ما يشغل تفكيري كان غرفتي ، الغرفة (77) تسكنها فتاة تُدعي أماندا چوني ، أخذت قهوتي ودخلت غرفتي ، جلستُ علي المكتب الخشبي و أشعلتُ اباچورتي ، توالت سجائري فعند إطفاء واحدة تضيء الأخرى ، كنتُ منغمسًا في تفكيري ، لا أتذكر ما كنتُ أفكر به ولكن أتذكر ما قطع تفكيري هو صوت جرس الهاتف ، كانت نمرة سيرا ، وعند جوابي قالت لي أنَّ غدًا يجب الحضور ، وهنا أدركت أن عملي بدأ للتو ، أغلقت التقارير وأطفئت الأباچورة لم أتحرك من مكتبي ، لقد كنتُ أشعلت سيجارتي قبل اتصال سيرا ، فعزمت على ألَّا أطفئها وهيا في بدايتها ، ومكثت أفكر فيما أنا قادم عليه ، هل سأثبت للجميع أني على صواب ! أم سأظل تقريرًا فاشلًا كالتي أدرسها الآن ، وتتوالى الأطباء ، وتتوالى الألغاز نحو تلك الحالة ، كنتُ أراهن على نفسي وعلى علمي الذي درسته أني سأبرهن تلك الحالة للجميع ، فاماندا مريضة ليس إلا ، حتي انهكني التفكير ، و انطفئت شعلة سيجارتي ، الظلام كان يحاوطني ، أنا أحب النوم في الظلام ، عدتُ لسريري ونمتُ نومًا عميقًا.

استقيظتُ في تمام الساعة التاسعة ونصف ، كنت متاخرًا ! تذكرتُ شيئًا مهمًا ، أنا لا أعلم مكان العمل ، لا أعلم مكان تلك المؤسسة حتى الآن ، معتز من كان يرشدني إليها طوال تلك المدة ، ولكن تذكرتُ ، لم أتذكر المكان ولكن تذكرتُ من يدلني عليها ، إنه قصي ، فاتصلت به ليأتي لي ، ولحسن حظي كان قريبًا مني وأيضًا استيقظ متأخرًا ، فانتظرته في السيارة على أول الحي .

« تأخرت ؟ » « لأ لأ متأخرتش ولا حاجة كويس أصلًا إنك موصلتش هناك » « لقد نمتُ متأخرًا أمس ، بسبب معتز، لقد سهرنا في أحد المقاهي » « متعرفش كان عايز إيه ؟» « نفسيته كانت سيئة للغاية كان يلوِّح بكلام عن حالته ، دعنا منه الآن أنه بخير » .

دفعت السيارة للأمام ، لم أكن فُضُولي ، قصي لا يريد الكلام عن معتز وماقاله ، فسرت في طريقي دون كلام عن تلك الموضوع ، بالتأكيد يومان فقط وسيرجع معتز للشقة ويحكي لي .

وهنا وصلتُ المقر ودخلنا تلك المؤسسة الكبيرة ، كنتُ متأخرًا لذا ذهبتُ مباشرة لغرفتي في الدور الأول الغرفة 12 .. كانت سيرا تقول لِمَ تأخرت ، فذكرتُ سبب نومي متاخرا بسبب مراجعة تلك التقارير ، وسالتها عن سبب الاجازة وما امر الدكتور الجديد في دورنا ، فقالت انه سيتاخر لمدة اسبوعين بالكثير جدا بسبب اجرائات الاوراق وانشغاله باعمال اخري ، لم اهتم واخذت ال ID للغرفة (77) وقولت لسيرا ساذهب للحالة ، لم تمانع مطلقا رحبت بذلك ! ، كنتُ متحمسًا أول يوم سأرى فيه حالتي .

تجولتُ في الدور الأول كنتُ أرمي السلام على الأطباء الألمانيين ، herzlich) (willkommen ، تعني مرحبًا بالألمانية ، كانوا يردون التحية بالابتسام ، حتي وصلت لآخر الممر لأدخل المصعد الكهربائي ، وضغطت على الدور الثاني عشر ، وعند وصولي للغرفة (77) تنهدتُ ووضعتُ ال ID ففُتِحَ الباب ، رأيتها ، رأيت أماندا لأول مرة فتاة شقراء ذات شعر أصفر فاتح طويل ، تربطُهُ علي طريقة ذيل الحصان ، فوق سرير حديدي لونه أبيض ، وتضم رجليها على يديها وتنظر للأمام ، تنظر لشيء ما بِحَذَر ، عدسة أعينها تتحرك معه ، أعتقدتُ في بداية الامر أنها تنظر للتلفاز ولكن التلفاز كان مغلقًا كانت ترتجف بعض الشيء ، الغرفة كانت واسعة ، غرفة بيضاء بها سرير واحد ومكتب صغير بجانبه تضع عليه كراس رسم كبيرة علي يمينها شباك كبير ، ولكن شباك

للتهوية فقط ، أشبه بشباك السجناء يتوسطه القضبان الحديدية ، أما أمامها فيوجد تلفاز علي الحائط ، وفي الجدران لوحات ، أظن أنها هي من رسمتها ، وإن كانت رسمتها فإنها حقًا كما قالوا فنانة مبدعة ، ولكن دعك من كل هذا ، الذي شد انتباهي هي تلك الرسمة ، على الجدار خلفها توجد رسمة ولكن ليست علي لوحة ، إنها رسمة جيرفيتي ، كانت نفس وضعية أماندا الآن ! نفس السرير نفس الغرفة ولكن الاختلاف هي ذات الشعر المفرود التي تستلقي بجانبها وتنظر لها ، لم رسمتها ؟ لا أعرف ، ولكن قد تكون محاكاة لعالمها ، قد تكون ليس لديها القدرة علي الحديث ، قد تعبر بتلك الرسومات فقط لترينا عالمها ! لنحس بإحساسها لنفهمها ، وتكلمتُ معها باللغة الإنجليزية ، ما قلتُهُ في أول كلامي هو صباح الخير ، لم تنظر إلي ، سألتها عن إفطارها لم تتجاوب معي ، ولكن كان لدي حل بسيط للتجاوب معها وأن تثق بي ، لقد ذاكرتُ التقارير فقلت : « أنتي بتبصي عليها صح !؟ أنا كمان شايفها ، تيجي نحكي عنها شوية؟ » !! بعد تلك الجملة نظرت إلي ، لقد قالوا أماندا تتجاهل كل شي ، ولكنها نظرت إلي »

****

نظرت إليَّ ، تلك النظرة البلهاء ، كنتُ أعلم ما تقول في عقل بالها هل هذا الأبله يراها حقًا ، أم يجاريني حتى أفتح صدري له ، كنتُ أعلم ، ولكنها نظرت للأمام مرة أخرى وأنا سحبت الكرسي وجئت بجانبها ، وقلت لها : ألا تصدقيني ، أنا حقا أراها وسنقضي عليها سويًا ! ، نظرت إلي ولكن تلك المرة بخوف ، كأنها تقول لي أتستطيع؟ ، كأني جئتُ لأنقذها من ذلك الهم الكبير ، كنت فقط أريدها أن تتحدث ، حتى إذا ادَّعيتُ كذبًا أني أرى شيئًا لا صحة له ، لم يخطؤ الأطباء بوصف أماندا ، فهي حقا ذات وجه ملائكي ، الذي كان يصعب عليَّ تصديقه هو أنَّ الفتاه الجميلة تلك مريضة ! كزهرة وسط بستان شوكي ، كيف لتلك الفتاة البالغة الجمال أن تجلس في غرفة بأربعة جدران لا تري العالم ،

لا تحب ، لا تمرح ، تعيش في كابوس دائم ، تلك النظرة البريئة في أعينها ، تلك النظرة الصادقة ، تلك النظرة التي جعلتني أقسم أني سأعالجها ! وأقسم أني سأخرجها من تلك المؤسسة القذرة !

أمسكتُ الكراس خاصتها ، لم يخطؤ الأطباء ففي الكراس يوجد كل شيء ، نفذتِ الأوراق منه من الرسومات خاصتها ، في الكراس المليئة بالرسمومات هي حياتها ففي أول صفحة كان مكتوبًا تاريخ منذ شهر مضى ، توجد ما تفعله يوميًا ولكن رسومات هي أشبه بالمذكرات ففي مذكراتنا نكتب ولكن هي مختلفة ! هي ترسم ، ترسم عندما تأكل عندما تنام وهي تجلس ، ترسم بأدق التفاصيل لاتفوت ساعة واحدة حتى ، وترسم موضعها فيه بالتاريخ والساعة ، استعجبت حقا !! فجودة الرسمة تأخذ أيامًا ، فكيف ترسم أكثر من عشر رسومات في اليوم الواحد بساعات مختلفة ، آخر ورقة في الكراس كانت بتاريخ أمس ، ولكن كان بجانبه كراس أيضًا فيه صفحة واحدة كانت بتاريخ اليوم بساعة مضت قبل أن أدخل كانت بنفس الوضعية التي عليها ، الغريب في الأمر كما قال الأطباء فهي ترسم امرأة أخرى معها ، هي نسخة من الچرافيتي التي علي الحائط ، لا ترسم ملامحها هيا امرأة ذات شعر طويل يغطي وجهها ، ولكن إذا كانت ترسم كل تلك الرسومات فأين الكراسات الأخري ، ففتحتُ درج المكتب الصغير لأرى أكثر من مائة كراس رسم قديمة ، بالتأكيد فهي فيها حكايتها .

كانت تنظر إلى الأمام وأنا أتابع رسوماتها الجميلة ! كنتُ سآخذ واحدة منها ولكن نظرَت إليَّ وهي تهز رأسها ، كانت تقول : لا ، خائفة وترتجف ! لا أعلم لما ولكن قلتُ لها لن آخذها إذا شئتِ ، فتركتُ الكراس مكانها وعادت تنظرُ إلى الأمام مرة أخرى ، فقلتُ لها لن أضغط عليكِ لتتحدثي ولنا للحديث بقية ، فنظرت بتمعُّنٍ و شدَّتِ الغطاء عليها ونامت ، وأنا خرجت بهدوء ! خرجتُ من الغرفة وأنا سعيد ، فأنا الوحيد الذي نظرت

إليه ، لا أحد من الاطباء ذكر ذلك فقالوا أنها لا تهتم بوجود أحد مطلقًا ، خرجتُ من غرفتها حوالي الساعة 11:36 دقيقة ، وتمشيتُ في الممر لأركب مصعدي ثانية ، ونزلتُ الدور الأول ، حتى قالت سيرا أن الدكتور الجديد سيأتي خلال إسبوع بالكثير ، لم أهتم ، فأنا الآن مشغول بأماندا ، حتى مر الوقت وأنا اكتب تقرير اليوم عن أول مقابلة ، عن ما رأيته ، وجاء وقت المغادرة ، ولكن جائني اتصال من معتز وأنا في سيارتي للبيت ومعي قصي ، فقال لي أني سأسافر في طائرة اليوم بهوية مستعارة هل تريد المجيء ، لم أحبذ ذلك مطلقًا ! ، معتز كان جبانًا ، وأنا أرى فتاة الآن بالغة الجمال تحتاج إلى علاج ، فقلتُ له : لا ولكني سأودِّعك وستعلم غدًا أني على حق !!.

علمتُ مكانه واتجهت مع قصي لنذهب له ، وعندما رآني قال : « مش هتيجي معايا بردوا ؟ » « لا مش هاجي لو جيت معاك هتخلى عن حالة أنا واثق إنها مريضة ، لو جيت معاك مفاهيمي هتتغير مش هقدر أشتغل الشغلانة دي تاني ، زي ما أنت هتمشي ! مش هتقدر تشتغلها تاني ! هتخاف ، هتعالجهم إزاي و أنت هربت من حالة مريضة بحجة إنها حقيقية .. لما تسافر أبقي شوف شغلانة تانية يامعتز » لقد جرحته بكلامي ، و دَّعني وغادر مكتوفَ الأيدي ، فارقني وكانت المرة الثانية التي يفارقني فيها ويتركني وحيدًا ، وغدًا الجمعة نهاية الأسبوع كما قالت له ! .

****

ودعت معتز وركبنا أنا وقصي سيارتنا ، وعدتُ للمنزل حوالي الساعة الخامسة مساء ! ، كان هاتفي قد نفذت بطاريته ، جلبتُ له الشاحن ولكن لا يعمل ، هاتفي كان غبيًا فتركتُهُ حتى أشتري واحدًا جديدًا ، في هذا اليوم كنتُ منهكًا لم أنم بشكل جيد في الليلة التي كانت تسبقها .. لقد كنت ناعسًا لم أفكر حتى في الطعام ، لم أفكر في أي شيء فقط

كانت في أذهاني تلك النظرة ، نظرة أماندا ! وشغلت الموسيقي الهادئة ونمتُ ، استيقظتُ مبكرًا جدًا ، كانت الساعة السادسة والربع ، كنتُ جائعًا ولا يوجد في تلك الثلاجة الضخمة غير الجبن والبيض والحليب ، فما كان عليَّ غير أن آكلهم وصنعتهم في وقت سريع ، أكلت ولكني لم آكل وأنا أشاهد التلفاز كعادتي ، تفقدت هاتفي ، كان لا يشحن كعادته ، فلبستُ بدلتي السوداء و أخذت نظارتي الشمسية وساعتي ومفاتيح السيارة و انطلقت ، لم أحفظ مكانًا ولحسن حظي ، كنت أفتح باب الشقة ولا أعلم ماذا سافعل فهاتفي مغلق ، كان قصي على باب الشقة يضرب الجرس ويبتسم ، سلمتُ عليه و أخذته وانطلقنا ، ولكن فكرني بشيء مهمٍ ! .

« معتز اتصل بك ؟» « لا أنا موبايلي مغلق ، فكرتني هو مكلمكش ؟ » « لا » « هيكلمنا باليل ممكن يكون متعب من السفر » ووصلنا المقر ..وكنتُ على شغف وأنا في ممر الدور الأول لأدخل غرفة (12) وآخذ ال ID الخاص بغرفة (77) ، رأيت سيرا ، تسأل عن معتز ، فدكتور طارق يسأل عليه ، فقلتُ لها حذرًا لا أعلم هو متعب نفسيًا ، ويأخذ هدنة يوميًا وطلب عدم مرافقتي ، لا أعلم مكانه ، ابتسمَت بتهكُّم ، وأخذتُ ال ID وركبت المصعد لأصل للغرفة (77) ، وعند وصولي فتحت باب الغرفة لأراها مستلقاة على السرير ، وعند مجيئي نظرَت إلي ، فابتسمت وقلت : « عاملة إيه النهاردة؟ ، يارب تكوني كويسة ! » كانت تنظر فقط ، كنتُ متلهفًا لأرى ما رسمت أمس ، فمسكت الكراس ، لأرى رسمها الجميل ، لا شيء جديد ، فقلت لها - وانا انظر في الكراس - : « رسمك جميل جدًا ، وبالذات اللي معاكي دي ، أنا عارف إنك شايفاها دلوقتي ، أنا مش دكتور أنا جاي هنا أساعدك ونمشي الكائن ده من هنا » تبلَّدت مشاعر وجهها وهي تنظر إلي ، أعلم تلك النظرة ، فهي في مخيلاتها أني منقذها الوحيد من ذاك العالم الموحش ولكن تريد الثقة ! الثقة فقط ، كنتُ أنظر إليها بابتسامتي وأنا اقول لها : «

إزاي بتاخدي الوقت القليل ده في الرسم ، اللي زيك مش مكانه هنا ، اللي زيك مكانه برا عشان يبدع ! ممكن ترسميلي حاجة عشان بس أشوف الوقت ومش هوريها لحد ده سر بيننا » تركت الورقة والقلم في حجرها وهي تنظر إلي نفس النظر ، ولكن نظرت للورقة ومسكت القلم وكتبت : « أنا لم أرسم أي شيء من تلك الرسومات » لم أحسسها بتعجبي حتى لا تنفر مني فقلتُ لها : « وأنا مصدقك مش انتي اللي بترسمي مع إن أنا عارف إنك لو رسمتي هترسمي الأحسن ، بس بردوا إحنا هنا في مشكلة يا امانداا ، معرفناش مين اللي بيرسم الرسم ده » مسكت القلم ثانية وكتبت « هي ، هي التي ترسم » قطعتُ شوطًا كبيرًا معها لا أحد من الأطباء قطعه من قبل ! لقد جعلتُها تنظر إلي ، تعبِّر بالكتابة ، تريد أن تتحدث معي بطريقتها الخاصة وأنا لن أدَّعي الغباء عليها فأنا أعلم ما قصدها فقلتُ لها : « آه انتي قصدك اللي معاكي في الجرافتي دي ، رسمها حلو بس شكلها بشع » ابتسمت ، ابتسمت ابتسامة حزينة ، فقلتُ لها لما لا تتحدثين بشفتاكِ أماندا فأنا أريد أن أعرف صاحبة الوجه الملائكي هذا كيف يبدو صوتها ونتحدث سويًا عن تلك المرأة ، هزت رأسها وكتبت : « لا أستطيع .. لا أستطيع فعل ذلك مطلقًا ..» .. !

فقلت لها : « زي ما تحبي يا أماندا أنا كمان مش هطول عليكي ، ومش هتكلم في الموضوع وممكن أمشي حالًا لو حبيتي ، نظرت للأمام بخوف ، ثم نظرت إلي وهزت رأسها ! عيناها كانت على وشك الدموع ، فمشيتُ بيدي على شعرها وقلت : « خلاص أنا قاعد ! أنا قاعد معاكي للوقت ما تحبي » لم تكتب ثانية وإنما ظلت ناظرة إلي وأنا أقصُّ عليها قصتي كلها ، ولكني كنتُ أكذب وأقول أني مؤمن بهم ومؤمن بوجودهم ، حتى ترتاح ، مكثت علي ذلك قرابة الساعة ونصف حتى نامت ، نامت أماندا ! وأنا خرجتُ فرحًا بهدوء ، وقفلت الباب ، وركبتُ المصعد لأرى قصي في المصعد ويقول لي « لا أعلم أخبار معتز حتى الآن ، الساعة الواحدة والنصف وهاتفه مغلق » لقد قلقتُ ، وبعد

دوام العمل ركبتُ سيارتي مع قصي وأنا أحفظ طريق المؤسسة ، وشاهدتُ متجرًا للهواتف وجلبتُ واحدًا ، وأحضرتُ معي البيتزا لأني جائع ، وعدتُ للمنزل وتركتُ الهاتف الجديد يشحن بعد ما وضعت شريحتي فيه ، وجلست آكل علي الحامل الرخامي البيتزا ، وعند وفتحي للهاتف الجديد ، صُدِمت !

****

عند فتحي للهاتف ، حمَّلتُ بعض التطبيقات من أهمها : موقع التواصل الاجتماعي ال Face book ، وأول شيء رأيته هو منشور لمعتز يقول فيه :

« العمر بيمر سريع ، بشكر الحظ اللي اداني الفرصة إني أكتب ال post ده ، معنديش وقت كتير ، كل اللي هقوله إن الطيارة مفيهاش شبكة ، بس فيها wifi وده حظي ، أنا جاي من ألمانيا لمصر ، كنت شغال في مؤسسة wtm اللي مش عارف المؤسسة دي فيها بتهتم بالخوارق واللي ما وراء الطبيعة ، في الحقيقة أنا كنت ماسك غرفة اسمها الغرفة (303) ، الغرفة دي فيها حالة من مصر ، أي متابع للحالة بيختفي بعد اسبوع من استلامه الحالة بس ، السبب مجهول ، وهي حددت إن أنا هموت النهاردة ! ، قالت إنهم قالوا كده ، مين اللي قالوا أنا مش عارف ..! كل اللي عارفه إنَّ صديقي حازم هناك بيتابع حالة بردوا ، هو اللي كان دايمًا بيحفزني ويديني الباور إني أكمل ، وأكمل ! ، بس واضح يا صديقي إن إحنا غلط وهم صح ، قولتلي قبل ما أسافر إني جبان وخايف ، أنا فعلًا دلوقتي مرعوب مش خايف وبس !! ، لما رحت أطلع باسبور باسم حد تاني وهواية مستعارة اكتشفت إني مش أنا لوحدي اللي بعمل كده ! أي طبيب في المستشفى اختفى عمل كده ! بس أنا أفضل حظًا منهم ، الطيارة فقدت المحرك الأيمن ! وهتقع في أي حتة و أنا بكتب البوست ده فقدت الايسر ، انا بهوية غير هويتي ففي تعداد الموتى مفيش

معتز ، هي صح وأنت غلط بس التمن كان حياتي أنا يا صديقي مش هقدر أطول في الكلام الناس بتلبس لايف چاكت عشان تنط في البحر ، ساعيين إنهم يعيشوا لآخر نفس ، وانا رابط حزام الامان وفي مكاني ، عارف ليه ؟ عشان الساعة 12:00 am يعني النهاردة الجمعة .

تلك الكلمات التي لم أستوعبها ! معتز مات ! ، هل حقيقة أم أنا أعيش في كابوس ، عيناي تدمع !! الفراق الثالث يا صديقي ، ولكن هذا يختلف ، هذا إلى الأبد ، لم أودعك فيه !! ، أنا من قتلتك بأفكاري ؟ أم هذا قدرك ! بالتأكيد لا ، القدر لا يحدد ! أنا من قتلتك بأفكاري ، تلك الحالات حقيقة !؟ كنتُ أبكي ، لقد أهدم ما كنتُ أؤمن به ! ، لقد فارق صديقي الحياة من أجل تلك الأفكار ، أمي لم تقتل أبي!؟ أمي كانت صادقة؟ ، عندما كانت تقول ليس أنا بل هي كانت صادقة ، عندما كنت في شقتي وفي حضن عمتي و أسمع صرير الباب كان حقيقة ليس من محض خيالي ، عمتي كذبت عليَّ ، طبيبي المعالج كذب عليَّ ، إنهم بيننا !! يعيشون بيننا ، أشخاص منا تراهم وأشخاص لا ، إنهم ليسوا مرضى ، بل أنا المريض ، نعم أنا المريض عندما تجاهلتهم ، أمي كانت منهم!! ، امي ليست كاذبة ! .

مكثتُ في أفكاري لعدة ساعات كنت سأُجنُّ ، حتى دقَّ الباب ، كان قصي ، لم أعرف ما أقول له ، جلستُ علي الأريكة و يدي فوق رأسي و بجانبي الهاتف ، أخذه قصي وقرأ ، كان مصدومًا ، لم ينطق !! ، وأنا أيضًا لم أنطق ، وقلتُ لقصي ، أنا أريد أن أذهب للمؤسسة ليلًا للحالة (77) ، قال لي اطلب منهم الوردية المسائية غدًا !! ، لم أنم تلك الليلة ، معتز امام عيني ، كنتُ أشعر أن سبب موته هو أنا ، أنا من دفعته لها ، أنا من جعلته يتحدث لها ! ، لقد أُنهِكَت عيني من البكاء وودتُ أن أكون أنا مكانه ، كلَّما تأتي

فكرة أنَّي لن أرى معتز دائمًا أبكي ! ، سهرتُ تلك الليلة على كل صورة تجمعني به ، على كل ذكرى تجمعني به ، كنتُ أفكر في الرحيل ، غلبني النُعاس ،

استيقظتُ وأنا أهرول للمؤسسة ، وأخذت ال ID الخاص بأماندا ، كانت تنظر لي ، كان وجهي متبلدًا ، قلتُ لاماندا : « هي فين » نظرت للأمام بخوف ، فقلتُ : « أنا عارف إنك موجودة ، أنا مكنتش مصدق بوجودك ، مكنتش مصدق بوجود أي حاجة منكم ! أول ما جيت هنا كان عندي هدف إني أشفي كل الحالات اللي هنا ، كل حالة غير التانية بتشوف حاجات وبتسمع حاجات البشر العادية مبتشوفهاش ، كنت جاهل بأمر المؤسسة !! ، بس بعد موت صديق عمري أنا مؤمن باللي اماندا مؤمنة بيه !! انتي فين ؟ اظهري زي ما انتي بتظهريلها !! ، أنا مش خايف منك » قلتُ تلك الكلمات وظللتُ انتظر أي رد !! ولكن قاطع الصمت صوتًا هادئًا يقول : « حازم أنا عايزة اتكلم ، عايزة أتكلم معاك أنت بالذات » كانت اماندا !! اماندا تتكلم ، بالتأكيد تريد أن تعرف ماذا قالت ، سأحكي لك .

****

سأروي لعلها آخر ما أنطق من كلمات ، قالت أماندا «« حازم أنا عايزة أتكلم ، عايزة أتكلم معاك أنت بالذات » ، اول مرة أسمع صوتها ، نظرتُ لها بتمعن ! هل أماندا كانت تتحدث حقًا ، أم أنا أتوهم ، هل أماندا ستروي لي ؟ كانت تنظر إلي ..! رجعتُ للخلف وسحبتُ الكرسي ولأول مرة لم أحضر ورقة وقلم لأسمع حالة ، أنا اريد أن أسمع فقط ، أريد معرفة تلك الحالة وما سرها ، فكل حالة تختلف عن الأخرى في تلك المؤسسة ، ولكن فضولي يأخذني إلى حالة أماندا ، وعند نطقها لتلك الكلمات زاد فضولي أكثر ، كانت تنظر للأمام ، وقالت : « أنا كمان مش هخاف ، انا كمان هحكي ، لما

اتخرجت من كلية الفنون الجميلة ، وأنا بدور علي فرشة الاوان في القبو ، لقيت صندوق في البيت ، الصندوق ده كان فيه سجلات لعدد الموتى في مستشفي اسكروف للموت الأبيض ! معرفش الصندوق ده كان بيعمل إيه عندنا ! كان بتاع جدي ، اكتشفت إن جدي كان دكتور في المستشفى دي ، كان بيتابع حالة اسمها موري كانت رسامة ، في لوحات لحد دلوقتي باسمها ، سمعت الاسم ده في المدينة كتير بالذات في المقر ده كانوا بيقولوا إن شبحها هنا ، كانت بتتعامل بطريقة غير آدمية ، ماتت من جلسات الكهرباء ، قولت هتبنَّى الفكرة وهرسم رسمه لصورة موري بالظبط ، كنت عايزة أخلدها ، رسمتها هي وصورة مقر المستشفى القديم وهو بيتحرق ! ، كنتُ بورِّيها لأصدقائي ودخلت بيها المعرض ، بس في أول يوم عرض المعرض اتحرق كله ، مش كده وبس شوفتها ، شوفتها وهي بتولع في بيتنا بأهلي ، ومن ساعتها بشوفها !! ، بتتجول في الغرفة هي اللي بترسم كل ده ، أنا مش برسم أي حاجة ، أنا اعتزلت من بدري ، قالت إنها مش هتأذيني بشرط إني أفضل ساكته طول حياتي ، أنا دلوقتي اتكلمت ! .

قالت تلك الكلمات ونظرة إلي وعيناها تدمع ، كنتُ أصدقها ! نعم أصدقها ولأول مرة لدرجة اليقين .

طلبتُ منها أن ترتاح ، وخرجتُ من الغرفة ، كنتُ أفكر في السفر بشدة ، فأخذتُ إذنًا من المؤسسة بالخروج مبكرًا ، جلستُ في إحدى الكافتيريات ، احتسيتُ كوبًا من القهوة ، وغصتُ في تفكيري ، لم أكن أعلم ما سيحدثُ لأماندا ، وهل ما فعلته صواب ام لا ، هل سيحدث لها مكروهًا أم لا ! كلها أفكار ظلَّت تراودني ، حتى الساعة السابعة مساء وذهبتُ للبيت ، أخذتُ حمامًا ساخنًا ، وقررتُ الذهاب للمؤسسة ، فاتصلت بقصي ، قال لي أن سيرا لم تغادر المقر ، فاتصلت بها وقولت « سيرا أنا أقدر آجي ، عايز أشوف أماندا » ضحكت وقالت « لو حابب تعالى » ! .

لبست ونزلت للسيارة ، وعند وصولي المقر ، ذهبت لسيرا لآخذ ال ID ، الدور الثاني عشر ، الأضواء تضيء وتُطفأ ، لا أعلم لِمَ ، ولكن وضعت ال ID في الغرفة وفتح ، كانت نائمة ، كنتُ لا أريد إزعاجها ، فقط كنتُ أريد الاطمئنان وذهبت من المقر ، الجو كان باردًا للغاية ، كانت ليلة رعدية ممطرة ، سلمتُ ال ID لسيرا وقلتُ لها : « نايمة » « هتصحي ، كده كده هنصحيها عشان تتعشي » « خلاص أنا هشوفها بكرة » .

قلتُ لها وخرجت ، وركبت سيارتي وغادرت للحي الذي أسكن فيه ، وعلى باب شقتي كان هاتفي يهتز ، كانت سيرا، أخدتُ الهاتف ورديتُ وأنا افتح الباب ، قالت لي ! « أماندا ماتت ! ، وقع هاتفي مني أرضًا ، لم أستطع أن أدخل الشقة ! ، تماسكتُ وقفلتُ باب الشقة ، كنتُ أنوي الرحيل ، كنتُ أنوي السفر ! ودخلتُ غرفتي أحمل أغراضي ، حملتها كلها في شنطة سفري ولكن و أنا آخذ الشاحن رأيتُ شيئًا غريبًا ! ، رأيتُ كراس الرسم الخاص بأماندا في غرفتي وعلى مكتبي ، وعندما فتحته كانت توجد به رسومات في اول صفحة ، كنتُ أنا وأنا افتح باب غرفة أماندا ، أماندا نائمة وموري هذه واقفة أمامي ، ثاني صفحة وأنا مع سيرا وموري هذه ، ثالث صفحة أنا في السيارة وموري بجانبي تنظر إلي ، الرابعة وأنا أفتح باب الشقة وفي يدي الهاتف ، الأخيرة وانا في غرفتي وامسك كراسة الرسم هذه وهي ورائي .. نظرت ورائي أُطفيء النور ..!

من يومنا هذا ياعزيزي وأنا أراها ، من يومنا هذا وأنا لا أتكلم مع أحد مثل أماندا ، من يومنا هذا وأنا أخاف العزلة والآن تحدثت لك ، تحدثتُ لك أنت لا أعلم لِمَ ؟ فقط لأنني أحسستُ أنك تشبهني في ماضيٍّ ، تشبهني فيما كنتُ أؤمن به ، أنت الدكتور يوسف الذي انتظرناه أنا وسيرا ، ولكن كم وددتُ ان أنتظرك وأنا طبيب مثلك ، ليس النزيل الجديد للغرفة 77 ، لا أعلم مصيري ومصيرك ولكن توجد أشياء لا ندركها ولن ندركها ، موري خلفك الآن وتبتسم لك ، موري هنا...!

حقوق الطبع و النشر محفوظة